أمواج لاتنتهى

رواية

تأليف

أحمد سيد سعيد

obeikandl.com

طبعة ٢٠١٧

سيد، أحمد

أمواج لاتنتهى: رواية أحمد سيد– .- الجيزة: أطلس للنشروالإنتاج الإعلامي، ٢٠١٦ .

١٣٦ ص,٢٠ سم

تدمك: ١ ٤٧٦ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية

أ - العنوان

٨١٣

obeikandl.com

أمواج لاتنتهى

رواية

تأليف

أحمد سيد سعيد

obeikandl.com

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة

المشرف

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٦/٢٢٤٧٩

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٤٧٦-١

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

الكتاب : أمواج لاتنتهى

المؤلف : أحمد سيد سعيد

الغلاف : أحمد الصباغ

الناشر: أطلس للنشروالإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكـــس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

obeikandl.com

ربما تجد نفسك أحيانًا على أعتاب الموت.. فتستسلم.. وتترك أهواءك تُحركك.. وربما دفعتك غرائزك إلى الانتحار.. إن توقف الليل وصمد فوق ضياء النهار.. ولكن في النهاية سوف يأتي النهار، ويبتلع الضياءُ صرخات الظلام.. ويسكن النورُ مُحيطك من جديد.

«لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا».

المؤلف

obeikandl.com

obeikandl.com

(١)

أول أيام الجامعه، تتعالى الأصوات .. تختلف الألوان .. تظهر على الوجوه ابتسامات .. يتخللها شوق، حياة مليئة بالخوف، لا أعباء، لا تكاليف، فقط لهو ومرح .. القليل فقط يرغب في حياة دراسية لا يتخللها أي أشواق، القليل فقط لا يبحث عن المرح والانطلاق.

«عُمر» شاب ذكي، وسيم، إلا من ملبسه (دقة قديمة) يرتدي البنطال الواسع والقميص الكروه الهادئ، حليق الشعر إلا من قليل .. تفوق في دراسته بالثانويه، دخل كليه الآثار التي لطالما كانت هدفا يسعى للوصول إليه، علاقته بالجنس الآخر تكاد تكون معدومة، حياته كلها قضاها وسط الكتب، ولع الادب، عشق الشعر، غاص في بحور عنترة وشوقي، كان العقاد وأنيس منصور بالنسبة إليه كقرنائه، كالذي ترعرع في كنفهم، عاش طوالا يحلم بنفسه وقد جالس العقاد، عاش يحلم بأنيس منصور وكتابه أعجب الرحلات في التاريخ، ربما سافر مع كرستوفر كولومبوس فاكتشف أمريكا، ربما جاء على ظهر السفينة التي ركبها هيرودوت ليعيش وسط كهنة أمون في مصر القديمه ... حياته مغلقة لم يعرف يوما الجلوس على المقاهي أو التردد على المولات، ومجالسة الفتيات،

شـأنه كشـأن البنـت الخاملـة البعيـدة كل البعـد عـن حيـاة الليـل وصخـب النهـار.

فجـأة نسـيم رقيـق يعبـره .. شـوق غريـب يغمـره، وكأنهـا الجنـة تداعـب عينـاه .. وكأن القمـر فـارق ليـلاه .. لكـي تسـكن فـؤاده ... مـا هـذا؟ إنهـا الفتـاة التـي زارتـه في منامـه كثيـرا، إنهـا الفتـاة نفسـها التـي سـبح معهـا في ثباتـه طويـلا .. شـيء غريـب لا يعقـل، هـل مـن الممكـن أن تـرى شـخصًا في منامـك ثـم تـراه علـى شـاكلته كمـا رأيتـه، ولكـن هـذه المـرة مـن لحـم ودم، أم هـذه هـى أحـلام اليقظـة..

إنهـا «ليلـى» فتـاة حسـناء رقيقـة تسـحر القلـوب، وتتهـاوى أمامهـا الـدروب مـن الأشـواق والحـروق، كـم تهـاوى علـى رؤياهـا العشـاق، كـم تغنـى بهـا الشـعراء .. فتـاة رقيقـه مُدمجـة الخلـق، مُرتويـة السـاقين فاتنـة القسـمات، يزيـن وجههـا عينـان زرقـاوان، لنظرَتْهمـا وقـع السـحر في الحـواس والقلـب والأعصـاب .. والدهـا يدعـى «مـراد السـنباطي» رجـل ثـري يمتلـك العديـد مـن الشـركات داخـل مصـر .. كان قـد تـزوج مـن السـيدة «ريهـام المدبولـي» ابنـة إبراهيـم المدبولـي وزيـر سـابق، ومـراد هـذا كان لـه العديـد مـن النـزوات التـي مـع الوقـت حولـت حياتـه مـع السـيدة ريهـام إلـى الجحيـم، أدى إلـى انفصالهمـا بعـد أن أنجبـا «ليلـى» بعشـر سـنوات، وليلـى تعيـش مـع والدتهـا، لكـن تربطهـا علاقـة قويـة بأبيهـا الـذي يغـدق عليهـا الكثيـر مـن الأمـوال، إلـى جانـب ثـروة جدهـا إبراهيـم باشـا.

عاشت في ترف لم يأخذ منها الكثير، فقد كانت ذات حياة خاصة خلقتها لأجلها فقط، ولم تسمح لأي شخص أن يدخل مدينتها هذه أو يسكنها .. حتى أقرب الناس إليها..

وهو حياته في الواقع خالية من الحب مثل كهف رطب لا تزوره الشمس فشعر بحرارة تضرب وجدانه لأول مره، شيء ما يغزو أعماقه، شيء ما يجعله غير قادر على السيطرة على نفسه، جوارحه كلها في لحظه لم تعد ملكا له..

●●●

«ساهر» شاب أنيق، وسيم، مفتول العضلات، تعرفه معظم فتيات الجامعة له علاقات عديدة يتغنى على أثرها الشباب.

لمعة عيناه حين رأى ليلى لأول مرة .. فسحرت وجدانه وصارت فريسته التي أثرته ولكن «ساهر» إيجابي جريء، وضع هدفه أمام عينيه وترك قدماه تحركهُ، تحدث إليها، وفى وقت قصير أصبحت من صديقاته..

كان «عمر» يراقبها عن قرب، وجدها قد انصاعت لرغبات ساهر، فأصبح كالتائه في أرض بور .. لا يستطيع منع نفسه من التفكير فيها، لا يستطيع العيش دون ملاحقتها، فأصبحت تزوره كثيرا في أحلامه، وباتت أيضا سيدة أحلام يقظته .. فلا النوم أصبح ملكه ولا روحه أصبحت تناجي، وكثيرا ما كان يشعر بأن

طيفها لا يفارقه، ألم شديد يغزو أعماقه، لا يستطيع الاستمرار، لا يستطيع العدول عنها ..

أخذ قراره بالتحدث المباشر إليها، فجاءت اللحظة، كانت ليلى مع إحدى صديقاتها ..

- لو سمحتِ..

نظر الجميع إليه.

- آنسه ليلى .. لحظه واحدة من فضلِك ..

- أنا؟؟

- أيوه حضرتك ..

- خير!!!

صمت رهيب أصاب أذنيه، هدوء خيم على المكان، وكأن الموت يبرز في الأرجاء ... فحاول جاهدا كسر صمته العاجز قليل الحيلة .. فلم يستطع ... ولكنه أبى أن يهدر هذه الفرصة .. أبى أن ينزل الستار قبل أن تبدأ مسرحيته، وما باله بمسرحية هو بطلها ..

- مش عارف أبدأ منين، بس عايز أقولك إني شوفتك قبل ما أقبلك .. أنا عارف إن كلامي غريب .. بس صدقيني والله هى دي الحقيقه ... مش عارف كمان ساعات بصحى من النوم

بلقيكِ واقفة جنب السرير .. بتبتسميلي ... وبعدها بتختفي ... أنا ماكونتش أبدا بآمن بالحب من أول نظرة .. بس اكتشفت إن في حب من غير ولا نظرة ... أصل أكيد هو ده الحب ... أنا قرأت عنه كتير ... بس عمري ما كنت أتخيل إني أقابله ... مع إنك ما شوفتنيش خمس ست مرات ويمكن عمرك ما ركزتِ معايا .. بس والله أنا أعرفك من زمان .. من قبل حتى ما شوفك..

احمرت وجنتاها خجلاً، ولكنها لم تكترث، فقد اعتادت أذنها على هذه الكلمات التي تبهجها حقا، ولكنا لم تهتم، فلطالما كانت فتاة أحلام العديد من الشبان ..

- طيب حضرتك عايز مني إيه؟؟؟

- عايز أقولك خليكِ جنبي .. أنا مش عايز بس غير إنك تعرفيني .. يمكن في يوم من الأيام تحسي باللي أنا حاسس بيه ده .. أنا مش عارف جاتلي الجراءه منين إن أقولك الكلام ده .. بس يمكن عشان عارف إن الفرصه دي ممكن ما تجليش تاني طول حياتي ..

وجدت ليلى في عينيه نظرة تتفجر من خلالها إشعاعات تنبع من قلب ربما فحواه الصدق..

- دي حاجة جميلة جدا ومشاعر أنا مقدراها، بس للأسف مش هينفع..

وقعت عليه هذه الكلمات كأنه فقد البصر والبصيرة، غاب عنه عقله كمغشي عليه، انسحب في هدوء من أمامها، فقط هز رأسه محييا لها ثم غادر..

ذهب إلى بيته وأغلق عليه حجرته، اعتلى مرقده وبات حزينا يصرخ من شدة الألم، كمن وقع عليه جبل أفرست ... بات على أثر هذه الكلمات المتهدجه ليالً طويلة ذاق فيها مرارة اليأس ومستنقعات الهوان، إلا أنه كان مؤمنا بأن المرء ليمر بالعديد من الصعاب والانكسارات ولكنه دائما لديه الاختيار .. فإما أن يقف مجددا، وإما إلى المجهول.

عاد إلى حياته تدريجيا، وأفاق من غيبوبته على مراحل، راضيا بقدره المؤلم .. مع الوقت عادت حياته إلى سابقها .. ولم تعد .. حاول تدبير أموره .. نزل إلى الجامعة .. وكلما وقعت عيناه عليها توارى بعيدا .. صار كعقد فقد جوهرته، يدفن عينيه في التراب حتى لا يرى في عينيها أى شفقه منعوتة تصف بها حالته البائسة .. فقد أصبح ذا جرح لا أمل في مداواته .. فهذه المرة أصبح مبتورا لا يقوى الأطباء على معالجته ..

●●●

(٢)

حياة مليئة بالصخب .. ضحك وابتسامات، وإشارات تعلوا معها أصوات الزغاريد، «ليلى» ترتدي فستانا أبيض مكشوف الصدر، جميلة كالبدر في اكتماله، تنزل من أعلى السلالم المتدرجة، وفي يديها والدها، وسط تصفيق وعناقات حارة، فترى «عمر» وقد ارتدى بذلة بيضاء، وسيم كأنه (توم كروز) في فيلم (ميشن امبوسيبول) يمسك بيديها ويقبلها في بطن كفيها.

تخلو الساحة للعروسين، ينظر إلى عينيها ويضع راحته حول خصرها .. ويتراقصان على نغمة one more time..

إحساس رائع ربما لم تشعر به من قبل...

- ليلى .. ليلى .. اصحي يا حبيبتى عشان تلحقي محاضراتك.

كان ذلك صوت والدتها، سيدة في الأربعينيات من عمرها .. جميلة، لا تزال تحتفظ برشاقتها بعد القليل من عمليات التجميل.

تفتح عينيها في هدوء، فترى نفسها في غرفتها وكأن شيئا ما كان.

- إيه ده ... معقول!!!! كان حلم جميل أوي.

- ..إيه إنت كنتِ بتحلمي ولا إيه؟ طيب قومي وبطلي كسل بقى.

- آآه يا ماما كان حلم غريب أوي!

- خير يا حبيبتي ... حلمتِ بإيه؟

- لا يا حبيبتى ما فيش ... هابقى أحكيليك بعدين.

سريعا ارتدت ملابسها وخرجت من غرفتها بعد نصف ساعة من الوقوف أمام المرآه كالعادة.

●●●

يجلس «عمر» تحت مظلة صغيرة يدفن رأسه داخل كتاب يبدو سحيقا، يقلب أوراقه، ينظر أعلى كتابه فيرى ليلى ترمقه في هدوء .. فينظر إليها ويترقب كأن ليثا سوف يلتهم أحشاءه، فيهوي بعيدا وكأنه الدخان يتبخر .. يهرب من نظراتها كعادته، منذ أن رمت به داخل ذلك البئر المظلم، الذى يحاول دائما الخروج منه..

تلاحقه بعض الكوابيس، يحاول تجنبها، ويتخلص من ألمه الصامت .. فلا يجد مفرا. يدفن تفكيره داخل الكتب التى يقرأها، ويحاول السيطرة على مُجريات أموره ولكن بصورة تدمر خلاياه ببطء ..

كلما ابتعد عن محيطها، شيء ما يجذبه إليها .. فيراها يوميا -غير متعمد- في الجامعة .. مع أنه يحاول ألا يراها، ويحاول كثيرا أن يبتعد، إلا أنه يجد نفسه أمامها في النهاية.

●●●

تكرر هذا الحلم على الشاكلة نفسها لمدة ثلاث ليال متواصلة، ثلاث ليال ما غاب فيها عمر عن ذاكرتها، حتى أرهقها الفكر .. فقررت الاستعانة بجدتها ..

سيدة في العقد السادس من عمرها .. ذات شعر أبيض .. متوسطة القامة، على الرغم من طول عمرها إلا أنها تحمل في طيات وجهها شيئا من الجمال الرقيق الهادئ، ترتدي نظارة صغيرة تخفي من خلالهما عينين زرقاوين.

وهى جدتها من أبيها، وتسكن معها في المنزل نفسه .. وكثيرا ما كانت ليلى تلجأ إليها عندما يصعب عليها حل شيء ما.

- تيتا كنت عايزه أتكلم معاك في موضوع كده.

- خير يا حبيبتي في إيه؟

- ما فيش .. بس في حاجة غريبة أوي بتحصلي اليومين دول.

ثم أردفت:

- بحلم إني بتزف على شخص وأنا في قمة سعادتي، وكل اللى حوليا... مبسوطين .. والشخص ده أنا أعرفه، هو معايا في الكلية وكمان هو جه قالي إنه بيحبني وإنه حلم بيا من قبل ما يشوفني .. والمشكله كمان إن الحلم ده اتكرر أكتر من تلات مرات وبنفس التفاصيل! موضوع غريب.

- فى كتاب اسمه (ذا سكرت) كان بيتكلم برده عن التواصل بالشكل ده .. أو الجذب زى ما بيسموه .. هو عايزيك بكل كيانه وعقله .. لدرجه إنه بيجذبك ليه. زمان وأنا في سنك كده .. جدتيك الله يرحمها حكيتلي عن واحدة صاحبتها .. حلمت بشخص قبل ما تشوفوا .. بعد فتره اتقابلوا وحبوا بعض ..واتجوزوا.

- قاصدك يا تيتا إن الشخص ده ممكن يكون حلم بيَّ فعلا؟

- ليه لا ... ما انتِ كمان حلمتِ بيه أهو .. ومش مرة واحدة ..

فكرت «ليلى» كثيرا في كلام جدتها، وقررت أن تدخل حياة ذلك الشخص الغريب، الذي بات مسيطرا على تفكيرها، بعدما أيقنت إمكانيه صدقه، ولا سيما بعدما رأته يتوارى عن أنظارها، فلو هو شخص أراد فقط الإيقاع بها لما تردد لحظه في الإيقاع بغيرها .. وكذلك عندما رأت من عينيه نظرات منكسرة .. تبحث عن من يداويها ..

●●●

(٣)

يجلس «عمر» في زاوية صغيرة اعتاد ملازمتها. فجأة .. صوت رقيق عذب ..

- لو سمحت؟

صوت مألوف بالنسبة إليه، فاتجهت عيناه إلى مصدر الصوت .. وإذ به يرى ليلى .. ذلك الملاك الذى سكن جوارحه .. فرد قائلا في ارتباك واضح :

- أنا!!

ابتسمت «ليلى» ابتسامة خفيفة برزت من خلالها أسنانها البيضاء ..

- آه حضرتك.

وقف على قدميه وبات مرتبكا، تائها، ولم ينطق بكلمة واحدة، وكأنه قد تلجم.

- مش عايزاك كل ما تشوفني تمشي بعيد أو تهرب .. ما حصلش حاجة احنا بردوا زمايل مش كده؟

هز رأسه وكأن صوته سرق منه.

obeikandl.com

- إنت وراك حاجة النهاردة بالليل؟

نظر إليها في ذهول، ثم ناولها كلمة واحدة فقيرة ..

- لا.

- طيب أنا زهقانة أوي وكان في فيلم حلو أوي اسمه (تويليت) لو سمعت عنه .. نازل في سينما جلاكسي اللي في المنيل .. تحب تيجي معايا؟

محاوله صريحه من ليلى تفيد بإمكانيه الاقتراب. أما عمر فكأنما عادت إليه روحه بعدما سلبتها .. فتبسم إليها بعد أن أطلق كلمة واحدة يتيمة.

- أوك..

فغمزت إليه بعينها اليمنى ولوحت بيديها .. مع السلامة .. نظر إليها حتى اختفى نسيمها من أمامه.

ظل أكثر من عشرة دقائق يقف كالسياج في يوم حار .. لا يتمايل .. ويتذكر ذلك الموقف وكأنه حلم يقظة .. وتذكر جيدا قولها .. الساعة ٨ قدام سينما جلاكسي اللي في المنيل..

بات شاردا في تفكيره .. ليس لديه أى يقين ثابت على أن ذلك كله حدث بالفعل، ولكنه لم يكن ليترك هذه الفرصة تذهب هباءً

.. فقرر الذهاب في الوقت المحدد .. ذاهبا وراء هاجسه، الذى بث في نفسه الطمأنينة.

●●●

الساعة: ٧:٥٥

قبل الموعد بعشرة دقائق كان «عمر» يقف أمام سينما جلاكسي بالمنيل .. لا يعلم مدى صدق هواجسه، مر الوقت بطيئا وهو لا زال غارقا في تفكيره ..

فجأة..

ليلى تنزل من سيارتها الجولف ذات اللون الأحمر، سيارة صغيرة، رقيقة، تدل على مدى ثراء والدها الفاحش.. نظر إليها وكأن حلما جميلا يتحقق.

- كنت عارفة إنك هتيجي .. يالا بسرعة عشان نلحق الفيلم من أوله ..

وعمر لا ينطق كعادته، وكأنه ولد بلا صوت .. ذهبا سريعا وجلسا معا لمشاهدة الفيلم .. فيلم رومانسي رائع قد زادهما نشوة، شاهدت ليلى أربعة أجزاء منه، ولم تمل أبدا من مشاهدته .. فقد سكنت أجزاؤه كلها داخل اللابتوب الخاص بها .. وهذا هو الجزء الخامس .

obeikandl.com

استمتعا معا .. ومرت الدقائق سريعا كأنها البرق.

- إنت هتفضل ساكت كده ..؟ إللي يشوفك وانت بتتكلم معايا أول مره ما يشوفكش دلوقتي خالص.

ابتسم خجلا..

فقالت له:

- عجبك الفيلم؟
- آه جميل جدا .. أنا اتفرجت على كل أجزائه.
- بجد..! وأنا كمان شوفت كل أجزائه.. أنا أساسا بعشق (كرستيان ستيور) ..و (تايلور لوتنر)
- أنا كمان .. عجباني أوي شخصية (جايكوب) عارف إنها مش بتحبوا ومش ليها .. ومع كل ده ضحى بنفسه عشانها .. ووقف بجانبها لآخر لحظة .. ومش كده وبس .. لا كمان وقف جنب بنتها ..النفوس الطاهرة دي اللي بتعمل الحاجة بدون أي مقابل ...بتتحب أوي ..
- كانت هذه الأفكار هي أفكار ليلى نفسها عن الفيلم نفسه ..
- آه عندك حق.. جميل أوي ..وكمان زي القمر هاهاهاها

obeikandl.com

- قولي بقى .. إنت حكايتك إيه؟؟

- حكايتي إيه إزاي .. مش فاهم؟

- أقصد يعني .. احكيلي شوية عنك؟؟

- أنا ياستى .. وحيد، والدي متوفَى ..وعايش مع والدتي في شقة في الهرم .. والدى كان دكتورفي الجامعة .. كان بيعشق التاريخ لدرجة إنه حببني فيه .. عشان كده دخلت كليه الآثار .. ووالدتي دكتوره في مستشفى الجيزة الخاصة ...

- تمام .. إنت صحيح برج إيه؟؟

- أنا برج الأسد .. بس مش بآمن آوي بموضوع الأبراج ده ..

- بجد .. وأنا كمان برج الأسد ..

- ابتسم عمر ابتسامة خفيفة ..

- عندك هوايات معينة؟

- يعني بحب القراءة . وكمان بكتب.

- بتكتب إيه؟

- أشعار وروايات وقصص قصيره .. عارفة لما تخرجي كل اللي جواك عن طريق الكتابة .. بالظبط زي الرسام إللي بيرسم لوحه من خياله .. حاجة هو حاسسها ..

openkandil.com

- اللّه .. دي حاجة جميلة أوي .. طيب سمعني حاجة بقى..

تنحنح قليلا ثم قال:

« ليتكِ ولدتِ بدمي حتى إذا اشتقت إليكِ نزعت عني الحائي

ليتك فكرة في القلب أوحى بها فصارت ساكنه أيامى..

الروح والقلب ملكك وكل وجداني..

والعقل صار مسلما أعلامي..

كم تمنيت الولع فلما كان سكن أرجائي.

وبات معينا أيامي

وكيف لي أن أنساكِ وأنا من دعوتكِ في أحلامي..

وجذبتك إلى ألامي..».

- اللّه جميله أوي.. ما شاء اللّه إحساسك حلو جدا.

- شكرا.

دب في أعماقهما الكثير من الراحة، كانت أمسية جميلة مرت سريعا، فقد انتصف الليل وأصبح على سندريلا أن تعود إلى بيتها ..

obeikandl.com

ودعته، وشكرته، على هذه الليلة الرائعة وعلى استجابته لطلبها، ثم ركبت سيارتها وتاهت وسط زحمة القاهرة.

أما عمر فلا زالت هواجسه تقاتله، ربما عقله اللاواعي هيأ له ذلك، ربما تعلقه الشديد بها خلق لعقله كل هذه الأحداث.

ظل واقفا أعلى كوبري عباس .. ينظر إلى النيل بترقب، يترجاه أن يجد له حلا .. يستعطفه أن يُلهمه بما لا يقدر على تصديقه.

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

(٤)

شاب في أوائل العشرينات، طويل القامة، مهتم بالبنية الأساسيه لجسده، مفتول العضلات، وسيم، ذو لحية خفيفة، وشفتين صغيرتين، يعلوهما عينان عسليتا اللون، وصاحب سيارة سوداء مكشوفة ماركة بي إم دبليو.

ذلك كان ساهر، والده محمود الغمراوي، صاحب شركه أرت للسياحة .. شركه عريقة ورثها عن والده .. وهى من أكبر الشركات السياحية في مصر.. طويل القامة .. أصلع إلا من بعض الشعيرات، ذو شارب أبيض..

زوجته السيدة أميرة، من أصل تركي، ومن سلالة بشوات مصر .. والدها يدعى محمد ثروت باشا، صاحب العديد من الأطيان التي خسرها أيام عبد الناصر لصالح قانون الإصلاح الزراعي.

عائلة عريقة ورثها ساهر عن أبويه، ولذلك لازمه الغرور قليلا، تهوى إليه الفتيات، فلطالما كان فارس أحلام العديد منهن، أصعب الفتيات (لم تأخذ في يده غلوة).

لكن ليلى وجد فيها صعوبة لاسيما بعد الكلمات الجافة منها، وقلة اهتمامها، واعتذارها كثيرا .. حيث أنه عرض عليها أكثر من مرة الذهاب معه إلى النادي أو إلى السينما .. ولكنها دائما ترفض.

وجد فيها شيئا غريبا يتملكه .. لم يعتاد يوما عليه، كره فيها نظرات الاشمئزاز والركود، لم يجد كعادته اللهفة والشوق المُعانق، الذي تعود عليه من الفتيات التي عرفهن.

صاحبه شيء لم يوجد يوما في قاموسه، لازمه بلا رحمة، أو شفقة، أحرق وجدانه، وحصل على نصيب الأسد من تفكيره، صاحبه الولع والشوق، عانقه سحرها أينما حل، وأصبحت على رادار قلبه.

راودت خواطره العديد من الأفكار، ربما تصطنع الثقل، فالثقل صنعة كما يقولون، ربما هناك شخص آخر، قد ألهمها عقوقها.

تتابعت الأهواء، وعششت أعلى خلايا مخه، فقرر المثول أمام عدالتها، لكي تجد له حلا في القضية رأس الدعوة ..

رآها من بعيد ، تركن سيارتها في الباركينج الخاص بالجامعة، اندفع إليها في عجلة، لا يحاول العبث بما يدور في خاطره.

وقف أمامها فلم تره ..

اقترب منها أكثر، فوقعت عيناها عليه ..

فابتسم قائلا:

- أنا عايز أقولك على حاجه .. من الآخر أنا بحبك بحبك بحبك.

رمقته بابتسامة أمل.

- ياه أخيرا نطقت .. حمد الله على السلامه يا عم ..

عاد الأدريانلين بالاتصال بخلاياه مرة أخرى، فتمتم بكلمات بسيطة، ثم قال:

- أفهم من كده إنك ....؟؟؟

- أه .. إني ..

ثم رسمت ابتسامة أعلى وجنتيها، فاحتضنها بلا أي مقدمات .. تعاصرت بين ضلوعه، في هدوء .. تمالكته النشوة بلا انقطاع ..ثم نظر إلى عينيها ..

وفجأة ..

opeikandl.com

فتح عينيه، ونظر بعيدا فرآها لا تزال داخل سيارتها، وهو لم يتزحزح من مكانه .. كان ذلك كله حلما، خاطرا، بلا حقيقة، كان ذلك كله يدور حول رأسه، بلا واقع يحميه.

زحف إليها في هدوء، وأصبح على بُعد خطوات منها، انتظرها حتى انتهت ثم قال:

- إزيك..
- الحمد لله .. أخبارك إيه؟
- كله تمام .. فينك يا بنتي؟؟
- موجودة.
- ما بترودش على الموبايل ليه؟
- معلش والله أنا أسفه بس كنت مشغولة شوية الفترة اللي فاتت.. أنا أسفة كمان لازم أمشي دلوقتي عشان في ناس منتظراني .. ابقى كلمني .. سلام.

ألقت هذه الرصاصات، ثم انسحبت وتبخرت في ثوان معدودة، لم يستطع حتى أن يجاريها.

obeikandl.com

وما زالت نظراتها ثقيلة بلا رحمة، فلا مجال للإفصاح عن ما يتملكه ..

انسحب إلى سيارته في هدوء ..ثم هرب بعيدا..

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

(٥)

بعد أيام بدأ التعارف يزحف بينهما ببطء، شيء خفي يجمعهما، تشابه كبير في السلوك، وكأنهما لوحة واحدة رُسمت بأكثر من لون ..

شيء رائع يغزو الأعماق ويداعب النفوس، صفاء يسري في العروق، ويسكن ضروب القلب بلا توقف ..

كان ذلك بعد الليلة التي صارت عيدا الآن بالنسبة إليهم، ذلك الشيء الذي يسمى اللقاء الأول.

بعد هذه الليلة وداخل أحضان الشك وُلد اليقين أعلى قمة الجبل، بعدما زارته في عُقر الزاوية التي يقطنها.

- إزيك؟

- الحمد لله.

- مبسوطة أوي إني شوفتك امبارح ..

أيقن عمر من هذه الكلمات القليلة التي صاحبتها ابتسامة رقيقة أعلى وجنتيها، إن ذلك لم يكن حلم يقظة كما ظن، بل حقيقة سكنت بين أطرافه، كحلم زاره بلا انقطاع .. فتشكل .. فسكن الأيام.

مـرت الأيـام، وسـكن الشـوق الأرجـاء .. تراقبهـم العيـون في ذهـول .. «ليلى» سيدة بنـات أهـل الجامعـة .. تسـير على مقربـه مـن شـاب أجـوف، لا جـاه لـه ولا سـلطان .. لا سـيارة ولا عقـار.. وكأنهـم يشـاهدون فيلمـا عربيـا، أو ليلـة مـن ليالـي ألـف ليلـة وليلـة.

ولكن مع الوقت اعتادت العيون على ذلك.

تقابـل العاشـقان كلا منهمـا يخفـي شـوقه المفضـوح ذا الصيـت العالـي، وفـى ليلـة قمريـة مضيئـة، وبعـد مشـاهدة ثانـي فيلـم لهمـا، ولكـن هـذه المـرة بسـينما متـرو بوسـط البلـد.

- أنا كمان حلمت بيك ..

وسط ذهوله وضربات قلبه التي تزايدت سرعتها ..

- حلمتِ بإيه؟

- حلمت إن أنا وإنت بنتجوز .. كنت لابس بدلة بيضا ... و...

سردت ليلى حلمها بجراءة حسدت نفسها عليها ..

كيـف خرجـت هـذه الكلمـات مـن صندوقهـا المُحكـم الغلـق بـلا ريبـة .. كيـف سـولت لهـا نفسـها بالإفصـاح المباشـر عـن مـا دار في ليلتهـا البيضـاء .. فقـد تعـودت علـى الكتمـان حتـى لأقـرب النـاس إليهـا ..

من هذا الشخص الذي يجذبني إلى محيطه بلا أي مقاومة؟

من ذلك الذي حطم كبريائي؟

أين كهفي المُظلم الذي تعودت دوما على إغلاقه؟

وسط هذه الأفكار المترامية الأطراف .. قال:

- أنا فعلا حلمت بيك قبل ما اشوفك .. وفعلا من وقتها .. ما فرقتيش خيالي .. أنا عمرى مكان لي علاقة بأي بنت .. حتى نظراتي كنت دايما بخفيها .. كان دايما صحابي ييجوا يحكولي عن حب ابتدائي وإعدادي وثانوي .. وأنا كنت دايما بسمعهم .. وبخاف أقرب .. كانت لما بنت تيجي تكلمني .. ما كونتش بعرف حتى أنطق.. مش عارف إيه إللي حصلي .. زي الحلم الجميل اللي في لحظة بقى حقيقة .. فعلا إنت أحلى حاجة حصلتلي ..

نظرت إليه وعيناها قد ابتلت .. أمسكت إحدى أطراف يديه فقشعر بدنه .. فألقته بنظرة عميقة في عينيه .. وكأنما حصل على الدنيا بحذافيرها ..

ثم ابتسامة ألقت في نفسه الطمأنينة ..

حينها أيقن أن مشاعرها قد فارقت البلادة .. وأن هناك شيئا ما يجمعهما ...

وصل التشابه بينهما إلى أدق التفاصيل، حتى الألوان، والكناري الأصفر، وزهرة الياسمين.

شعور غريب بالارتياح .. ربما لم يحصلا يوما عليه، أو تصل نفوسهما يوما إليه.

●●●

obeikandl.com

(٦)

٢٠١٢/٢/١٤

حاول جاهدا أن يظهر لها حبه ولكن بطريقة عملية هذه المرة، فكر مليا، فقرر أن يحضر لها بوكيه ورد أحمر اللون، قد شاهده بصفحتها على الفيس بوك.

وقرر أيضا أن يضع لها سحراخاصا فقط به، ذلك السحر الذى لم يفارقه.

يتذكر جيدا أول قصيدة كتبها وهوفى سن الثالثة عشر، قصيدة وجد فيها راحه وطمأنينة أعجزته .. وجد فيها العالم من نظرته هو، كثيرا ما كان يغمض عينيه ويمسك قلمه ويدعه يشجن ويفرح، يتعب ويسرح .. عالم خاص فقط به .. شيء يجذبه كالرمال الناعمة كلما قاومتها سحبتك داخل أعماقها ..

حقا إنه لسحر ..

رن هاتفه ..

- إزيك .. وانت كمان وحشتيني .. قبليني الساعه ٦ في المنيل..

ثم أغلق الخط.

obeikandl.com

وأمسك بقلم وورقة، ثم أطلق لنفسه العنان ..

في الموعد المحدد، وصلت ليلى .. كان ينتظرها بشغف .. تصافحا .. ثم أخرج من مخبئه بوكيه ورد أحمر اللون ذي وشاح أبيض..

نظرت إليه في حيرة مؤقتة ثم تفوهت:

- اللّه مرسي .. حلو أوي .. أنا بحب الورد الأحمر جدا.

- أنا عارف.

- وعرفت منين بقى يا أستاذ إن شاء اللّه!!

- يا بنتي أنا ليَ عصافير في كل حتة ..

ابتسمت .. ثم أمسك بيديها وعبر الشارع .. ثم استأجرا مركبة صغيرة ..

تحركت المركبة من المنيل، وسط صخب وضوضاء القاهرة .. إلا أنهما كانا يستمتعان..

- عايز أسمعك حاجة كده ..

لمعت عيناها في سعادة، ثم أنصتت ..

«سأكون للقبر لو أكون لسواك

obeikandl.com

سأكتب لك حتى الممات.....

سأموت فداك.....

مهما ضاقت بي الدنيا بما رحبت

وتمادت في القسوة وما ارتحبت

سيكون ظلك قائدي حتى ننتصر

كيف سرقت النوم من أرجائي..

لا النوم أصبح ملكي ولا روحي أصبحت تناجي

إنه بيان بعجزي أمامك.....

دعي روحي دعي قلبي تجاهك.....

حرري زمام أموري وأخرجي ألامك.....

إنه بيان بعجزي أمامك.....

وددت بيع ماء عيني لبابك.....

ورجوت ترك عالمي وأموت فداءك.....».

قال ذلك ولم تنزل عيناه عنها، حتى أنها توارت خجلا، ولكنها كانت مستمتعة.

obeikandl.com

وصل الشوق مُنتهاه .. بلا قيود .. ثناء قليل، ليستمتعا معا في ليلة كانت الثالثة بالنسبة إليهما.

استقرت المركبة في مكانها بالمنيل. نزل «عمر» أولا ثم أمسك بيديها، وكأنها الأولى .. مع أن نيته كانت فقط أن يعبر بها الشارع .. إلا أنه قد ازداد نشوة، سمعت من خلالها دقات قلبه التي تزايدت .. ووجهه الذي تصبب عرقا.

- هو أنا ممكن أقولك على حاجة؟
- طبعا ..
- هو انت إزاي جميل كده ..؟

ابتسم في خجل ..

- مش فاهم ..؟
- على فكرة إنت حد جميل أوي .. وعلى فكرة النهاردة أجمل يوم في حياتي .. حسيت إنك خطفتني .. وجواك طاقة ما شاء الله أنا بحسدك عليها ..
- بجد أنا إللي مبسوط .. عشان إنتِ مبسوطة.
- أد كده بتحبني؟؟

obeikandl.com

كانا قد وصلا أعلى كوبري الجامعة، نظر إليها وابتعد خطوات قليلة .. ليصيح بأعلى صوت لديه ..

بحبيييييييييييييييييييييييييييييييييك

بحبيييييييييييييييييييييييييييييييييك

انطلقت منه فسمعه معظم من كان يعلو الكوبري .. وسط ابتسامات وحيرة، وليلى في خجل ممزوج بالفرحة والبهجة، هذا جنون لم تألفه.

أهذا هو عمر المنطوي الذي لم ترَ له صاحبة ولا ولد؟

أهذا الذى عاش مُلازما لزاوية صماء لم تسعفه ولم تغنِ له من وحشة؟

من أين له هذه الجرأة ..؟؟

إنه لشخص آخر ولكن أجمل ..

مر الوقت سريعا .. بعد أن عاشا معا أروع الحظات، لحظات سعيدة كان لعمر نصيب الأسد فيها .. كانت حياته دائما كئيبة ولا سيما فترة طفولته البائسة، التي فقد فيها أباه، وحياته وسط أسوار منزله اليتيم.

مرت العديد من اللحظات الحزينة وهو ناظرا بقوة إلى المياه الراقدة وسط النيل، حتى كادت عيناه تخونه، ولكنه أبى أن تنزل دموعه وتفقد هذه اللحظات الرائعة رونقها ..

شعرت ليلى بذلك .. ولكنها لم تتفوه، فقط أمسكت يداه .. فنظر إليها متمتا:

«اوعي تسبيني»

●●●

الألم قد سكن الأرجاء، وبات في بيته دون عناء، وسار مصاحبا له بلا دواء.

هذا كان حال «ساهر» بعدما سكنت ليلى مدينته، عاش في ألم جديد بالنسبة له .. لم يكن يوما في حسبانه .. وما قد زاد الطين بلة، أنه رأى من يسكن مكانه، رأى عمر في محيطها لا يبتعد .. وكأنه الشبح الذي حال بينه وبين مجنونته ..

ليلى ذلك الملاك الذي خطفني من عالمي، كيف السبيل إلى وصالها .. أريد من يدلني .. أترمي بنفسها في أحضان ذلك الغريب عابر السبيل ..؟؟ الذى ربما سيلقي بها في أعماق الهلاك..

لا لن يفعل ..

obeikandl.com

سوف أبرحه .. سوف أكون لها كسيف ودرع، فارس ذو جواد اجهش .. لا لن يفعل ..

لن يأخذك مني يا مليكتي ...

ذهب إلى عمر في لحظة قد ألهبته ..

- تعالى عايزك ..

- أنا؟؟

- آه.

انزعج عمر من لهجة ساهر .. ولكنه لم يكترث.

- خير ..؟

- أنا عايز أعرف أنت مالك ومال ليلى؟

- يعني إيه؟ .. وبعدين بتسأل ليه؟

- ابعد عنها أحسن لك .. أنا بحذرك..

قالها واختفى كمارد طويل ظهر فجأه من العدم، فأرعب الجميع، ثم طار بلا وداع.

انزعج عمر، ولم يعبأ يوما بالمعضلات، كان كمن داعب خياله رسمة فرسمها فانتظر أموالا لا طائل لها من شخص ثري، أو

obeikandl.com

كما قال الأديب الروسي العظيم تولستوي: « هل من الضروري أن يكون الطريق إلى الأمل يمر بكل مستنقعات اليأس وحشرات الهوان، وجفاف الدموع».

بعدها بلحظات ..

وجدته شاردا في تفكيره، فسرقت اهتمامه:

- مالك؟ سرحان في إيه؟
- ما فيش ..كنتِ فين؟
- أنا هنا من بدري شوفتك واقف مع ساهر .. هو كان عايز منك إيه؟
- كان .. كان بيسألني على حاجة في المنهج.
- حاجة في المنهج!! من إمتى!
- ياستي ربنا يهدي الجميع..

●●●

من ذا الذى أغواني .. من ذا الذى سحبني كالبعير فأعماني.. من ذا الذى سحبني مقيدا أحلامى.. ما الشيء الخفي الذي يدفعني لفعل ذلك .. لا أعلم.

obeikandl.com

هواجس عديدة قد أصابت عقل ساهر .. أسئله كثيرة قد أرهقته .. هل كان قراره خاطئ في ذهابه إلى عمر وتهديده؟

هل ليلى تحب عمر؟

هل هو يحبها؟

أم هى صفقة عظيمة حاول إبرامها ..؟

لماذا يا ليلى وأنا الذى أحبك .. فلتدعيه يواري سوأته .. فالتقتنى عشقى وليسكن بين ضلوعيك.

●●●

قليلة هي كلمات ساهر.. شعر بها عمر، شعر بقلب ينبض بلا صدى، شيء يمزق أعماقه .. روح أصابها الوهن.

مسكين يا ساهر أعلم أنك الآن تكرهني وتتمنى لي الفناء ..

مع الوقت صارت عيناه مراقبة لساهر، مراقبة لكهل أصابه السن .. نعم إنه ساهر مدينة الأناقة ذو الأسوار العالية والتي أصابها ضباب العشق..

يراه عبوسا كوردة ذبلت من قلة المياة، يرى في عينيه نظرة انكسار لا تظهر إلا من شخص عشق ما ليس له ..

●●●

obeikandl.com

(٧)

كانا قد خصصا يوما كل فترة قصيرة لإيجاد السحر بينهما، فيوما يذهبا إلى النيل، ويوما إلى أعلى قمة الجبل، ويوما سكناه وسط الأزهار والحدائق.

لا يعلما شيئا عن سر هذا السحر.. فيسألا أنفسهما .. أيوجد حقا داخل طيات النيل والجبل، والجماد، والشجر، أم هذا السحر فقط بداخلنا؟؟

ولكنه يحتاج فقط إلى من يوقظه ..

الحياة بينهما باتت جنة الله في أرضه، حياة لا يشوبها أي عقار، حتى وإن ظهرت معضلة ما .. كان علاجها بسيطا لا يحمل أي تكليف..

فما بالك بمعضلة ولها اثنان في جسد واحد..

وكان التشابه بينهما اكتمال، حتى وإن وجد اختلاف ما، كان هذا الاختلاف يكملهما .. لا يفرقهما أبدا..

فكانت له كالمرآه التي يرى نفسه فيها .. وكذلك هي ..

●●●

لا يعلم لماذا يلوم نفسه على جرم لم يفعله؟

فلماذا لم تركع كقرنائها؟

لماذا تعلق قلبه هكذا بها؟

ألم يُخلق مثلها في البلاد؟

ولما قلبه أصر عليها في عناد؟

فتارة يسب نفسه، وتارة يسب ليلى وعمر، ويسب اليوم الذى جاء فيه، يرجو لو لم يولد من البداية في هذه الدنيا البائسة، لو لم تخطوا قدماه هذه الجامعة .. التى يوما ما سوف تفقده حياته ..

ولكن أحيانا يحيط بخاطره شيء من الشفقة على نفسه .. إنها هكذا الحياة لا تعطينا كل شيء..

لماذا لا أذهب بعيدا عن محيطها؟ وأرجو الغفران .. ولتحين لي الفرصة حتى أتخلص من خطايا وآثام اقترفتها ..

فكم من قلب أسرت؟

بلا رحمة..

وكم من روح دمرت؟

سـأذهب بعيـدا .. نعـم سـوف أذهـب .. وليذهـب قلبـى إلـى الجحيـم.

●●●

تـراه متبلدا في جفـاء عنهـا .. مشـاعره أصبحـت بـاردة .. كانـت قـد تعـودت منـه علـى الجنـون المعهـود الـذى لازمـه .. فهـي أنثـى تبحـث دائمـا عـن مـن ينصبهـا ملكـة .. ولـو بـكلام معسـول.

- إنـت عـارف... أنـا مـن وأنـا صغيـرة كان نفسـى أوي حـد يحبنـي زي حـب قيـس وليلـى .. عنتـر وعبلـة.. حاجـة كـده مـن بتاعـت الأفـلام.. إللـي الواحـد فيهـا ممكـن يمـوت عشـان حبيبتـه. بـس ده متهيألـي صعـب شـوية في زمنـا ده ..

وأثنـاء إطلاقهـا لهـذه السـهام .. أشـار بعينيـه إلـى الإعـلان المطبـوع علـى الجـدرات: «يعلـن اتحـاد الطلبـة لكليـه الآثـار عـن مسـابقة مواهـب داخـل الكليـه تحـت إشـراف إدارة الجامعـة وعلـى مـن يرغـب في الاشـتراك التوجـه إلـى اتحـاد الطلبـة».

ذلك كان اعلان مطبوع على أحد الجدران داخل كلية الآثار..

- إيه رأيك .. بفكر أشترك؟

- ياه ... دي هتبقى حاجة جميلة جدا... لازم تشترك..

●●●

قاعة كبيرة مكونة من رواقين، تتسع لمائتي فرد، مكتظة بالحضور .. تعلو خشبة المسرح العديد من المواهب التى تغدوا وتروح، بعضها غنائى والاخر مسرحى.

«ليلى» تجلس في منتصف الرواق ا لأيمن، تخلو الساحة لعمر، يتقدم في هدوء .. يتصبب عرقا .. فهي المرة الأولى بالنسبة له على خشبة المسرح..

يقولون إن الخوف الأول في العالم هو الوقوف أمام الجمهور..

أيقن عمر ذلك .. فهي بالنسبة له الآن حقيقة ملموسة بين يديه ..

الآن أصبح قريبا .. يبحث عن عينيها في هدوء .. حتى يستمد منها قوته وطاقته ..

لمح عينيها، فأرسلت له ابتسامة ألقت في نفسه الكثير من الراحة .. وفقد من خلالها إحساسه بفقدان الكلام...

تنحنح قليلا ثم قال:

«تسألني إن كان في زماننا مجنون لليلى .....

وتخبرني إنها منتظرة عنترا يشدو شعره لعبلة.....

وتريد عشقا يغمرها فتهوى.....

ويحلق بها بجناحين تملك بهما الأفق الأعلى .....

وتغوص في أعماق بحورا يتخللها سحرا ثم ترسى.....

ولكن أسألت نفسها يوما إن كانت هي ليلى؟.....

إن كانت سوف تهب مجنونها حبا فيسعى؟.....

فيسعى في خطفها ثم يرسى.....

لست مجنونك يا ليلتي .....

ولكن لي عشقا يقدر على نشلكِ.....

إلى أمواج في طياتها قصور من رمال تعلى.....

بي قلب يسع أحلاما تقدر على تحريك جبال لترسى.....

ولكن لتحريك تلك القوى عليك أن تعطي مرسى.....

فالهوى ما هو إلا براحا في قلب عاشقين .. كلاهما يعطى ولا ينسى..».

لم تبعد عيناه عنها .. كل كلمة كل حرف .. هو مرسوم فقط لها .. لم تشعر بدموعها تتساقط من جفونها .. حتى ابتلت وجنتيها..

obeikandl.com

انتهى عمر.. فتعالى التصفيق .. والتهليل.. كان إحساسه يرسم أجمل لوحة فسكن داخل أعماقهم..

لم يعلموا أن هذه الكلمات القليلة لم تكن مجرد كلمات يتخللها بعض من المحسنات البديعية والبلاغة المتكلفة .. إنها فقط مشاعر تسكنه.. لذلك جاءت في أبهى صورها.. فسكنت خيالهم الضال.. الذى يبحث عن من يهديه إلى طريقه.. ذلك الطريق الذي لم يعرفوه يوما...

●●●

obeikandl.com

(٨)

استيقظ على خوف يحاصره، لم يخطئ منامه يوما.. حلم غريب جاءه بلا أي سوابق.. أقلقه وبات يسيطر عليه..

جاءه شخص طويل القامة يرتدي ثوبا أبيض.. شعره كستنائي كثيف.. كان شكله أدمى إلا من لون بشرته.. فقد كان أخضر.

يهرب منه عمر داخل زقاق ضيق، ثم يخرج إلى حارة صغيرة، ثم يدخل في حانات كبيرة ... فيخرج من أبوابها الخلفية .. يسير وراءه كظله .. يحاول الاختباء منه ..ولكنه لا يستطيع.. يتهاوى بعيدا فلا مفر ولا ملجأ يحتضنه..

ثم استيقظ.

قضى من الوقت طويلا يفكر فيما دار.. فلا يجد له أي تفسير.. فيحاول العدول عنه والرجوع إلى واقعه الذي أوحشه..

تحدث إليها عبر الهاتف النقال .. شعرت بأن هناك ما يقلقه .. فقصى عليها .. فألقت إليه بكلمات، أهدأته، ولكن خاطره ما زال متعلقا.. ينتظر شيئا ما.. يوما ما سيأتى وإن طال الأجل.

●●●

أصابه القنوط، عاش في عزلة، لم يعد يهتم بملبسه أو بمأكله.. عاش بسيطا بلا تكليف .. نفر منه أصدقاؤه، فهو لم يعد «ساهر» الذي عرفوه.. شخص آخر سكن به، لم يتبق منه سوى ملامح.. ربما يوما ما تختفي هي الأخرى..

انتظم في دروسه ووضعها محلا لاهتمامه.. بل جعلها حياته.. يرجو أن يتخلص من عذابه، ولكنه ما زال يحيط به.

وغريب كونه ابتعد عن سهراته المليئه بألوان النبيذ، بمختلف مسمياته، فقد كانت قبلا خير جليس له ... ولكنه نفر منها بلا عودة.

ينظر إليها دائما برجاء .. ولكنه قرر الابتعاد.. تنظر هي الأخرى إليه في غموض يحيرها، وأسئلة عديدة تدور وسط عقلها...

ما الذى دفعه إلى ذلك؟

أين ساهر المتعالي؟

أين ذهب كبرياؤه؟

ولكنها كانت تعلم جيدا أن هناك من كسره وألقى به داخل هذا المستنقع، إنها بالكاد امرأة ... فهذه النظرة المنكسرة تتبع من قلب جريح .. ذاق مرار الهزيمة وشربها في كأس من الهوان..

ياليتنى يا ساهر أستطيع مساعدتك ... لو أعلم أن قلبك بريء إلى حد أن يغيرك بهذا الشكل... لتخذتك خليلا أبدَ الدهر...

ربما من الأفضل أن أتقرب إليه .. ولأكونَّ سندا وعونا له، لربما أستطيع أن أهون عليه عذابه، ووحدته، التى أعلم جيدا أنها تقتله بسكين بارد.

- ساهر... إزيك؟

لمحها فرد عليها .. وعيناه أسفل قدماه:

- الحمد لله.

- ما تيجي نروح المكتبة .. الشلة كلها هناك.

نظر إليها ولم ينطق .. ولكنه استجاب لها ... ربما ذلك لغيابه عن الوعي .. أو ربما لأنه حين يكون أمام عينيها .. لا يرى ..لا يسمع .. لا يتكلم .. لا صوت يعلو على صوتها ..

- مالك ...فى حاجة مضيقاك؟

تسألني عن علتي وهي علتي .. فكيف السبيل لتفهمي .. لا أعلم.

obeikandl.com

- مافيش .. أنا كويس.

- هو أنا مش عرفاك ... فين ساهر إللي كانت ضحكته .. وهزاره .. بيكسروا الدنيا ..

- أصلّي تعبان شوية ..

- عَمَّةً لو حبيت تتكلم أو تفضفض مع حد .. أنا موجودة.

إنه ليحزنني أن أراكِ بعيدة عني.. ولكني أعلم أن قلبك أبدا لم يكون ملكي... إنه الصمت العاجز يا ليلى فقط من يمنعني من إفشاء ما بداخلى ... إنها قلة الحيلة والنتيجة .. التى لن تثمر ولن تغني من ألم ..

فلتبقي على عماكِ .. ولنغلق ألف باب ..

●●●

obeikandl.com

(٩)

الزهـرة التـى تنبـت في الصحـراء لا مثيـل لهـا .. وإن خطـت قدمـاك الدنيـا كلهـا ..كذلـك الحـب الصـادق.. إن وُجـد ذهـب الجفـاء إلـى الجحيـم..

- نفسك في إيه دلوقتي؟
- مممممـم.... نفسـي في شـيكولاتة جلاكسـي... وواحـدة كانـز بيبسـي ... مممممـم ... وواحـدة كونـو..
- بس كده... طموحاتك بسيطة أوي ..
- هاهاهاها

كانـت تبتعـد عـن منزلـه بحوالـي سـاعة .. وكان يملـك سـيارة صغيـرة متواضعـة، كان قـد ورثهـا عـن والـده .. وأثنـاء الحديـث معهـا .. اسـتقل سـيارتة واتجـه صـوب بيتهـا ...

- إيه هو انت نزلت من البيت..؟
- آه.... هروح أشتري شويه حاجات...
- طيب تحب أقفل؟

obeikandi.com

- لا... تقفلي ليه.. خليكِ معايا.

مر الوقت سريعا .. وسط تناغمهما في الحديث..

- اطلعي كده في البلكونة ..

- بلكونة إيه!!

- أكيد يعني مش البلكونة إللي في بيتنا..

فتحت شرفتها فوجدته يرمق إليها في ابتسامة..

- يا مجنون!!

- انزلي بسرعة ...

ارتدت ملابسها على عجل، ثم أخذت السلالم في ثلاث خطوات، حتى أصبحت على بُعد متر واحد منه .. فرمقته بنظرة غريبة...

نظرة لم يألفها.. نظرة لطير يطير من السماء إلى الأرض.. فيرى الأشياء ضئيلة من تحته ... بلا قيد..

فاحتضنته ... وسالت دموعها على مقربة منها.. حضن رأت فيه الدنيا كلها أسفل قدميها.. العالم كله يشاهدها، وينظر إليها في سعادة...

حضن وجدت فيه سكينة وهدوء .. لم تألفهم من قبل .. أرادت فقط لو لم تغادره .. وإن كان بعده موت يأخذها إلى المجهول..

وسط هذا الشوق والدموع المتناثرة، وبين زراعيها.. شعر بدوار وإرهاق، وضيق

فى التنفس.. شعر بقدميه تخذله لأول مرة .. وكأنها لا تستطيع رفع جسده الثقيل ...

كل ذلك داخل حضنها .. فلم يفارقه منذ الوهلة الأولى ولم تبتعد هي ..

يسكن فقط بين زراعيها، شعرت بجسده ثقيلا بين زراعيها .. فسحبت عينيها في بطء، لتجده قد سقط من بين يديها،كجثه هامدة لا حراك لها ..

صرخت من هول المنظر، ونزلت دموعها بغزارة وسط شحوب وجهها .. ولكن هذه المرة، دموع أصابها الرعب والخوف من فقدانه ..

حاولت إيقاظه .. ولكنها لم تستطع. شاهد ذلك حفنة من المارة، فاجتمعوا له، وحملوه .. ثم وضعوه في سيارتها ..

●●●

obeikandl.com

بسرعه البرق كان «عمر» ملقى على سرير أبيض داخل مستشفى خاص بالمهندسين .. يعلو وجه جهاز التنفس الصناعي .. وليلى على مقربة منه، ترجو الله أن يخفف عنه ما هو فيه .. وأن يطمئن قلبها المتزايد ضرباته من الفاجعة التي أصابتها بلا سابق معرفة، تلك الفاجعة التي أصابتها أثناء لحظات رائعة عاشتها لوقت قصير جدا ... وكأن الدنيا قد أعطت لها ظهرها فجأة .. بعد أن شاهدت وجهها البستاني شديد الخضار..

بعد ثلاث ساعات أفاق من غيبوبته ببطء شديد .. يحاول إدراك ما حدث وما يحدث له .. ولكن لا سبيل .. يرى الأشياء مُشوشة .. لا يستطيع التعرف على أي شيء سوى جزء بسيط يبرز منه ملامحها .. فشعر ببصيص من الأمل.

فالذى هو فيه إن لم يكن الدنيا .. فهو حقا في الجنة .. وذلك جل ما أراده..

-إيه يا دكتور، عمر مالوا؟

كان ذلك صوت والدته، سيدة في الخمسينات من عمرها .. ملامحها رقيقه، ذات بشرة بيضاء، تزين وجهها نظارة بيضاء، وتعمل كطبيبة في أحد المستشفيات الخاص.

- خير ما تقلقيش ... هنعمل شوية تحاليل بسيطة كده ... وأنا هكتبله على خروج بكرة الصبح إن شاء الله .. بس تعملوا التحاليل دي .. وتبقوا تيجوا تاني عشان نطمن عليه ..

اطمأن قلب أمه قليلا .. إلا أنها لا تزال تنتحب.. ولكن ليلى تحاول الاعتدال والاتزان .. فأخذت والدته في حضنها .. وهي تبكي وتتمتم ..

- الحمد لله .. الحمد لله يارب.

فى اليوم التالي .. خرج عمر من المستشفى .. عائدا إلى بيته في سيارة والدته .. ومعه ليلى تشد من أزره.. وترعاه ..

وكان اعتقادهم جميعا أن ما ألم به مجرد وعكة صحية مفاجئة، ربما لن تعود مرة أخرى، وكان هذا أغلب الظن الذى ساقه الطبيب متابع الحالة..

إلا أن عمر كان يعلم أن هناك أمرا خطيرا بداخله .. ربما يقضي على حياته .. فقد كان الألم الذي حدث له لا يقاوم .. ألم شديد في المعدة .. وضيق في التنفس.

تذكر أيضا حلمه الغريب، الذى زاره منذ وقت قصير .. حلما يعطي إشارة لشيء ما.

حاول ربط الخيوط ببعضها، فلم يهتدِ إلا لشيء واحد .. هو أنه لم يصطحب معه أي شخص لعمل هذه التحاليل، حتى والدته..

سيفعلها في صمت ..

ذهب بمفرده لعمل بعض التحاليل التي ربما سوف تحدد مصيره، فعل ذلك بالفعل ..

ثم ذهب إلى طبيبه المعالج، في المستشفى نفسه الذي خرج منه منذ يومين.

- خير يا دكتور؟

- مش عارف أقولك إيه .. بس إن شاء الله خير.

- في إيه يا دكتور قلقتني؟

- إنت عندك «لوكيميا» ..

- يعني إيه؟

- سرطان ..

ها هي الدنيا قد أوجعها أن تراه سعيدا، تذكر ليلى وأياما جعلته يطير بجناحين إلى الأفق، أياما غاص فيها في بحور الشوق .. تذكر والدته التي لم يكن يوما لها أحد سواه.

obeikandl.com

كم أنتِ قاسية .. خادعة.

مر عليه شريط حياته في لحظات قليلة، ولم يؤلمه سوى فراق من أحبهم .. وعاش لهم .. وعاشوا هم له.

- بس ما تقلقش .. دلوقتى الطب اتقدم كتير .. وخير إن شاء الله.

مد يده مصافحا ..ثم ذهب .. فأخذته قدماه إلى مكان لقائهم الأول .. مكان نبتت فيه حبات العشق، وارتوت حتى أصبحت ثمرة.

جن عليه الليل جالسا، ناظرا إلى النيل، يتحدث إليه ويناجيه..

كم تحمل من أسرار أيها النيل؟

كم جلس على شاطئك أناس أفاضوا بهمومهم إليك؟

ما السبيل؟ ..ما الحل؟ ...

لا أعلم.

●●●

قرر في نفسه أن لا يكون أنانيا في مسألة ليلى، عليه أن يبتعد من الآن، بعدما يجد طريقة يوصل بها ليلى إلى بر الأمان .. فهو يعلم جيدا أن ليلى لو علمت بهذا الأمر سوف تقع مغشيا عليها .. وإن مات داخل أحضانها .. فإنها بالكاد سوف تلحق به.

لذلك قرر أن يجذب إليه بعض الفتيات، فيتقرب إليهم، حتى تكرهه .. فتبتعد عنه، فألم ساعه أهون بكثير من ألم دهر.

ولأضعكِ في مكانك الصحيح ...

ومن مراقبته لأحوال ساهر بعد تهديده له .. أدرك جيدا أن هذا الشخص عشق ليلى عشق الجنون .. عشق حوله إلى شخص آخر .. لذلك قرر أن يكون وسيلة لاقترابهما من بعضهما أكثر .. وليأخذ مكانه.

نعم يا ليلى .. فلسوف أكون في قبري مرتاحا .. بالتأكيد لو كنتِ في أحضان ساهر.

عليَّ الآن أن أجد وسيلة حتى تبتعدى عني .. ولأضعكِ داخل مدينة ساهر.

إنه لأمر صعب عليَّ بالكاد .. ولكني قبل إن أموت سوف ألقي بِك داخل مدينة أسوارها حقا سوف تحميكِ ..

فـى البدايـه كان مـن الصعـب عليـه إقناعهـا بـأن التحاليـل نتيجتها أن لا شـيء .. ولكـن لـم يكـن أمـام ليلـى سـوى أن تستسـلم ..

حـاول الابتعـاد تدريجيـا، والتقـرب مـن بعـض الفتيـات التـى كانـت قبـلا نائيـات عنه.

بالفعـل شـعرت ليلـى بالسـوء، وصـارت تبكـي كثيـرا مـن تغيـره الملحـوظ، ولكنهـا لـم تربـط ذلـك أبـدا بمرضـه المفاجـئ .. فصـارت الخطـة علـى النحـو الصحيـح الـذى رسـمه ... وسـعى لإكمـال باقـي الخطـة.

- سـاهر ...لو سمحت ممكن كلمة؟

رمقه بنظرة غريبة ...ثم اقترب منه.

- نعم!

- أنـا عايـزك تقـرب الفتـره دي مـن ليلـى .. مـن الآخـر أنـا حاسـس إنكم لَيْقِين علـى بعـض .. وهتقـدر تحققلهـا كل اللـي بتتمنـاه .. إنمـا أنـا مـش هقـدر .. وكمـان أنـا حاسـس إنـي مـش بحبهـا .. أنـا بـس كنـت بخـدع نفسـي ..

شـعر «سـاهر» بالكـذب الـذي يفـوح رائحتـه منـه، فأصابـه العجـب..

لماذا يفعل هذا الشخص الغريب ذلك؟

فإنه حقا لو بهذا السوء الذي يحاول أن يتظاهر به، لبقي مع ليلى ولا سيما ثرائها الذي لطالما جذب العديد إليها ..

بالتأكيد هذا الشخص يخفي شيئا ما .. يحاول أن يدفنه تحت التراب .. ولكن نظرة عينيه الحزينة تفضحه..

●●●

آه يا ساهر .. إنها الدنيا نفسها التي أعطت لك ظهرها منذ يومين تحتضنك الآن .. بعد أن انفرط قلبك.

لكن ساهر لم يضع في حسبانه يوما أنه يعشقها، حتى أنه على استعداد أن يقربها من خليلها .. ويبتعد.

فكل ما يهمه فقط أن يرى ابتسامتها مرسومة أعلى وجنتيها..

كل ذلك حدث بعد أن شعر بوجعها، إنها معشوقة لرجل واحد، هو عمر .. فقد كانت هذه الفترة بائسة، لقد هجرها عمر، وذهب بعيدا إلى فتيات بائسات .. كل حلمهن أن يفزن برجل هو مِلك لليلى .. ليحصلن على كبريائهن الذي دمرته ليلى طويلا...

●●●

اشتد ألمها .. لم تفهم سر تغيره المفاجئ .. وتقربه من عابسات كان رأيه دوما عنهن .. أنهن مجرد مقتنيات رخيصة تمشي على الأرض .. وأنهن من باب أولى أن يوضعن في متحف .. فلباسهن العاري ..وحيلهن المبتذلة تقول ذلك .. وأن الإنسان ليس بماهيته الذى خلقه الله عليها .. إنما الإنسان بعمله وبثقافته .. ورأيه الموضوعي.

أين ذهب هذا الكلام يا عمر؟

ولماذا رحلت؟

حاولت أن تلملم الجزء الباقي من كرامتها، والهروب من سفينته إلى أقرب مرسى .. إلا أنها أبت أن تخسره .. فقررت أن تواجهه للمرة الأخيرة ..

وجدته جالسا مع إحدى الفتيات ..

- عمر .. تعالى عايزاك لو سمحت ..

ودع الفتاة التي كانت معه..

- إيه يا ليلى ...أخبارك إيه؟

- ملكش دعوة بأخباري .. قولي بقى إنت متغير ليه .. ومين البنت إللي كانت معاك دي؟

opeikandl.com

- ما فيش دي بنت من سنة أولى .. اتعرفت عليها ..

- إنت إيه إللي غيَّرك كده .. فين حب سنة .. فين الأيام والليالي إللي ما كونتش بتفارقني فيها .. إنت مين؟؟؟ ... فين عمر؟؟؟

- مات .. عمر مات ويا ريت تشوفي حالك بقى أنا منفعكيش ...

تماسكت ليلى بعد هذه الكلمات الصارمة، التي كاد قلبها يقف بعد سماعها .. لولا إرادة الله .. أنهار من الدموع انهمكت .. وليل بات منتشرا .. وكأنما لا ضياء بعده.

●●●

خرجت كلماته منه بلا شفقة، لا يعلم كيف خرجت بهذه القسوة، خرجت كالنار الذي قطع أحشاءه .. فاشتد ألمه .. إلا أنه كان يبحث عن هذه الخطوة .. التي أكملت خطته.

سأموت الآن وأنا مرتاح في قبري يا ليلى ...

شعر بقلبها يتقطع أمامه .. وخاف أن تقتلها الصدمة .. على الفور اتصل بساهر عبر هاتفه النقال.

- أيوة يا ساهر إزيك ..؟

- مين؟

- أنا عمر ..

- أيوة يا عمر خير ...

- كنت عايزك بس تتصل بليلى ...

- ليه؟

- أصلّى قولتلها كلام صعب عليها أوي .. بس كنت لازم أقوله .. أرجوك تكلمها ..

تأكد «ساهر» من حدسه، عمر يعشق ليلى ولكن هناك ما دفعه للابتعاد .. فصوت الحزن المكتوم الّذي يخرج عبر أنفاسه .. يدل على قلب يعشق لا محالة ..

أغلق الهاتف واتجه صوب بيتها ..

●●●

قابلته والدتها في البداية، ثم دنا من غرفتها .. قابلته محاولة مسح دموعها المتساقطة .. ووجهها الذي أصبح شاحبا .. ويداها تحمل رعشة خفيفة .. وقد أصبح أسفل عينيها أسود تماما، من شدة البكاء.

آه يا جميلتي، أحبه يعذبك إلى هذا الحد؟

إن أسفل عينيك ليدل على بكاء طويل مستمر .. وحزن أحرق وجدانك .. إنه لصعب عليَّ أن أراكِ هكذا ..

إن انفراط قلبى وتمزقه، أهون علىَّ من رؤياكِ تتحطمين أمامي ..

خرج «ساهر» من بيت ليلى قاصدا عمر.. فتحدث إليه عبر الهاتف .. وطلب منه مقابلته بعد عشر دقائق على الأكثر.

- خير يا ساهر .. ليلى حصلها حاجه؟
- أنا إللي عايز أسألك ليلى مالها؟
- ما أنا قولتلك.. لأنا قولتلها إني مش هينفع نكمل ..
- أنا عارف ده كويس.. بس ممكن أعرف السبب..؟
- ما فيش.. إنت عارف مستوايا المادي .. وهي ما شاء الله يعني .. أبوها من أكبر رجال الأعمال فى مصر .. وكمان حاسس إني مش بحبها .. أنا بحب بنت تانية ..
- على فكرة باين على وِشِّك أوي إنك بتكدب .. ده إنت عينك مش عارف ترفعها في وِشِّي .. من غير لف ودوران .. إنت عايز تسيب ليلى ليه ..؟ وعلى فكرة لو ما قولتليش الحقيقة أنا هبعد عنها .. وحالا.

obeikandl.com

- أنا من البداية كنت عايز أقولك .. بس خُفت ليلى تعرف .. بص يا ساهر. أنا تعبان أوي ... عندي السرطان .. وهموت في أي لحظة .. فمش عايز ليلى تتعذب .. عشان كده أنا ببعد عنها من دلوقتي .. يمكن الصدمة ساعتها تكون بسيطة شوية.

اكفهر وجه ساهر...

لم يستطيع مقاومه دموعه .. بعد سماعه للحقيقه، التي جاءت مؤلمة .. فاحتضنه عمر على غير ما توقع يوما .. وجد نفسه فجأة بين ذراعيه .. يحاول أن يخفف عنه.

وكان أكثر ما أوجعه، أن عمر قد ضحى بسعادته، وأيامه القليلة المتبقية له في هذه الدنيا البائسة من أجل ألا تمرض ليلى بسبب فقدانه.

– ما تقولش كده .. إن شاء الله تخف وتبقى أحسن من الأول .. دلوقتي في علاج..و...

قطع «عمر» حديثه .. الذى شعر من خلاله بشفقة مصحوبه بألم.

- أنا عارف إني خلاص كده ... عشان كده كل إللي بطلبوا منك إنك تخلي بالك منها .. أنا عارف إنك بتحبها .. وكمان تساعدنى إني أخليها تكرهني ..

اتفق العدوان سابقا .. الصديقان حاليا، على إخراج عمر من قلب ليلى وسط عذابهما معا .. فالأول أيامه معدودة .. والثاني يؤلمه أن حبه سوف يبنى أعلى ضريح عمر.

●●●

obeikandl.com

(١٠)

قررت الرحيل .. فرحلت، وتركت ذكريات اعتقدت أنها سوف تتركني عما قريب .. هاجرت واعتقدت أني بلا قيد .. وسوف أنسى جرحا أصاب يوما الوريد .. فاصطدمت بواقع بعيد.

أحيانا لا يمكنك أن تصف ألما بداخلك، فلا يسعك إلا أن تقول .. لا كلمات ..

عاش عمر في مُعاناة، وألم فاق قدرته .. تمنى أن ينتهي أجله قريبا .. فالصبر لم يكن كفيلا بأن يخلصه مما هو فيه.

●●●

يقولون إن في الليل سحرا، لا يعرفه إلا قلب عشق حتى الموت، وقلب ذاق مرار الهزيمة..

عاشت في جرح ألهبت ناره وجدانها .. فانقطعت عن الجامعة .. فلا ينبغي لها أن ترى عمر وسط خليلاته المثيرات .. وأن تشعر بالشفقة على أوقات ثمينة، كانت فيها بين أحضانه.

أوقات ذهب رحيقها هباءً، بقيت حبيسة البيت لفترة لم تكن قصيرة بالنسبة إليها، حتى أنها تجنبت مقابلة رفيقاتها لما وجدت

فيهن من سبيل لمعرفه أخبار عمر، الذى كان يؤلمها سماعه، إلا ساهر فلم تستطيع تجنبه .. لما وجدت فيه من صدق غالب على أمره .. ويد أمدها دائما لتداوي جراحها العميقة.

تاهت نضارة وجهها بين الحزن والألم، وخف عودها، وتساقطت أوراقها، كشجرة في الصحراء كل يوم يزداد جفافها ..

وساهر يتابعها ولكن بقلب أصابة الوهن .. كل ذرة ألم .. كل زفير من ضيق، تشعر ليلى به .. شعر هو بها .. بل ربما تنفسه معها.

ثم عزم على إخراجها من هذه الأزمة، بأي ثمن.

●●●

انقطع عمر عن الدراسة لمدة لا تقل عن ستة أشهر .. أيضا لم يحضر الاختبارات النهائية .. وسط غموض لا يفهمه أحد.

فصارت الحياة أسهل بالنسبه لليلى .. فقد اعتادت فقدانه.. وصارت تمضي بلا خطر .. وقد شعرت أخيرا بقلب ساهر يحدثها ... فتحدثت إليه ..

- ساهر ..هو انت بتحبني..؟

- أنا!!.. لا .. أقصد بحبك زي أختي طبعا ..

- خلاص.

رمقته بنظرة غضب.

- إنت ليه بتسألي السؤال ده؟

- أصِّل عينيك فضحاك أوي .. ومن بدري ..

تغير لونه وتزايدت ضربات قلبه.

- آه بحبك .. بس هعمل إيه.. عارف إني بعيد أوي عن قلبك ..

- ليه بتقول كده ... إنت حد كويس.. وتتحب.

- أفهم من كده إن ممكن ..

- أكيد يا ساهر.

لم تعلم ما الذى جعلها تفعل ذلك ..

لربما احتياجها الشديد إلى نسيان عمر، جعلها تخاطر بقلبها .. وقلب ساهر معها.

تودد إليها ساهر وأصبح على أعتاب قلبها .. وأيضا لم ينسَ عمر، كان يذهب إليه من الحين إلى الآخر .. وقد عرف مؤخرا أن والدته قد أصرت على متابعته لدكتور بمستشفى الأورام .. وقد أخبره هذا الدكتور أن الحالة في طريقها إلى التحسن، إلا أن عمر

obeikandl.com

كان كثير التشائم، فتارة يخبره أنه يشعر بأن نهايته باتت قريبة جدا، وتارة يخبره أنه سيموت على كل حال.

ساهر قد وصل إلى مبتغاه منذ البداية .. فليلى الآن تسكن بين زراعيه .. إلا أنه بداخله بركان من الندم، والحسرة .. وأشياء عديدة بداخله تخبره أنه يسير على الطريق الخاطئ.

لما لا يبتعد بعدما يخبرها بحقيقة عمر؟

ذلك الملاك الذى ضحى ببقايا أيامه من أجلها ... ولكن ما كان يخفف عنه، إنه يشعر طوال الوقت أن ليلى ما زالت داخل مدينة عمر .. فلم تخرج ولم تقابله..

من ناحية أخرى .. لم يستطيع أن يخبرها بحقيقة عمر .. فهو لا يزال على العهد، فلا يمكنه التضحية بهذه الفترة التي فرضها عمر حتى تنسى ما كانت عليه.

وعمر على حد علمه سوف يموت على كل حال، وإن أخبرها ساهر بالحقيقة في هذا التوقيت فسوف تتألم كثيرا ... وهو يعلم مدى حبها لعمر .. فخبر كهذا ربما يكون كفيلا بالقضاء على حياتها.

●●●

صرخات العشق تعتليها. ألام كثيرة تحرق عقلها وقلبها معا .. كيف يحاول الإنسان نسيان جزء منه .. هل يمكنك مثلا العيش بدون قلبك؟

هل يمكنك العيش بدون غرائزك..؟

إنه لأمر محال ...

ولكن حقا حاولت، وساهر أيضا حاول بكل ما أتاه الله من فطنة، ولكن الأمر لم يكن بتعلق قلبها فقط به .. فالأمر أكثر من ذلك بكثير .. فلا يسعه وصف ولا تشرحه كلمات صماء.

مرت أيام وليالٍ .. اعتادت فيها الموت .. ولكنها سعيدة فقط لأنها ترى «ساهر» سعيد في كنفها.

وعمر لا يستطيع منع نفسه من الاطمئنان عليها، فكثيرا ما كان يذهب أسفل منزلها، مُرتديا غطاءَ رأس ليخفي به جزءا من ملامحه، التي بالفعل اختفت، فقد أصبح جسده نحيفا .. شاحبا.. كأنه هيكل عظمي.

كان ينتظرها في سيارة أجرة، حتى تنزل من منزلها فيراها فيستمد بذلك جزءا من قوته .. اعتاد على ذلك لفترة وجيزة ..

وفى إحدى الليالي القمرية، زاد نسيمها داخل خلايا مخه، وارتفع الأدرينالين في جسده لدرجة لم يكن يتحملها، فاستقل سيارة أجرة من أمام منزله .. لم يكن عليه أخذ سيارته حتى لا يكتشف أمره.

ثم اتجه صوب بيتها ...

وضع مسافة عشرة أمتار فقط .. حتى يرى ملامحها بصورة ترحم خياله .. مع علمه بهذه المخاطرة إلا أنه لم يحتمل .. وكان يرتدي أيضا غطاء الرأس الذى يضعه على رأسه ككل مرة يأتي ليراها ..

خرجت من المنزل ... مُختالة تمشي كملكة .. كل خطوة تخطوها أمام عينيه .. يزداد شوقه ..

عيناه تصلبت وسط السيارة .. لم يستطيع الحراك ..

وفجأة نظرت إليه ...

فتسمرت مكانها ...وكأنها فقدت القدرة على الإحساس بقدميها ..

سريعا شعر بالفاجعة التى ألقاها بنفسه فيها ...

- اطلع بسرعة ...بسرعة.

كان ذلك قول عمر في عصبية ونهيج ..

تحرك السائق سريعا .. مُختفيا من أمامها في لمحة بصر.

وليلى لم تتحرك.

لحظات قليلة استعادت فيها يقظتها .. إن ذلك مجرد حلم يقظة .. إن روحه ما زالت تسكن بي .. لذلك تشعر جوارحي بوجوده..

إنه فقط سراب....

حاولت إقناع نفسها بذلك ...ثم مضت في طريقها ..

●●●

يا أيها الموت الذى أخذ الأب والجد ... يا أيها الموت الذي لم يترك لنا شيئا للغد ... يا أيها الموت الذى ناجاك الكبير والصغير...

إلى من تكلني ... إلى مرض ملكته أمري ... أم إلى حبيب باعدت بينه وبيني ... لو لم يكن الخالق قد حرم عليّ قتل نفسي، لأتيت إليك رغماً عنك ...

opeikandl.com

ولكنها مشيئه اللّه أن أنتظرك بفارغ الصبر .. حتى ترحمني.. وتخلصني.

إن عذاب مرضي بالسرطان ذلك المرض الذى يأخذ منك كل شيء ببطء ... أقل بكثير من عذاب فراقها ..

فكل نفس يخرج مني وهي ليست بجواري ..تخرج معه روحي..

لم أعلم يوما أن للعشق سكرات كسكرات الموت .. بل إن سكرات الموت بالكاد أقل عذابا.

●●●

اقتربت أكثر من ساهر .. عاشت حتى ترى ابتسامته التى عادت أخيرا مع اقترابها منه .. وقد أيقنت حبه ..وعلمت أنها هي الأنثى التي غيرته، من ساهر المتعالي ..إلى ساهر الهادئ الذى عاش فترة منطويا على نفسه بسببها.

- تعرف إنك وسيم أوي...

- أنا!

- مالك ارتبكت كده ...آه...أنت.

ابتسم خجلا ..

- شكرا ..

خرجت منه في خجول الأنثى عندما تداعبها عينا تعشقها ..

شعر بعينيها تلاحقه ..

عظيمة لغة العيون ...تتحدث بلا خوف..تخرج ما في جعبتها بلا تردد.. تفضح صاحبها ولا تدع له سبيل للتورية ..

لكنه يعلم أن عمر لا يزال في محيطها ... فقرر أن يعيش فقط لها.

فلن أبحث يا ليلى عن أشياء منك .. أشياء قد تسوؤني، وتؤلمني، فقط سوف أبحث عن سعادتك فهي سعادتي ...

تعلم هي الأخرى أن عمر لا يزال يتملكها، ولا يزال يأتيها في أحلامها ... لكنها تبحث دائما عن سعادة ساهر .. ولكنها لا تستطيع أن تعطيه قلبها .. فهى امرأة لرجل واحد ..هو عمر.

فك قيدي ... حررني ... دعني أواري سوأتي ... دعني في رحمتك ... أين قارب النجاة الذي يخلصني من عذابي منك .. أين من يساعدني ويفك أسري ..

obeikandl.com

لماذا وضعت سِمك في عروقى ..؟

لماذا أعطيتني حياتي ثم أخذتها في ثوان ورحلت؟

كنت قبلك أملك روحي .. كانوا جميعهم ملكي وحدي.. لم يكن ليشاركني فيهم أحد .. كنت أسكن عالما أرجاؤه صلبه ... وأرضه خضراء.. لا يشوبه ظلمة ... كنت أعيش في سلام..

فكيف لي أن أحيا الآن؟

ألم تعلم أني مُتّ منذ أن رحلت .. ألم تعلم أن حياتي بعدك باتت بلا طعم لونها ..

لو أعلم أن العشق سوف يهزمني هكذا .. لأعددت له من قوة ترهبهُ..

كيف خدعت في إنسان تواصل مع روحي ... حتى وأنا في نومي؟

هل يوجد في هذه الدنيا من يستطيع أن يرتدي قناعا بهذا الشكل المُتقن؟

ربما هذا حلم ...

●●●

«لقد رحلت وتركت العالم تحتي .. وأقدم نفسى إليك يا رياح... الناس الآن بعيدون .. على بُعد الكثير من الأميال.. من حين إلى آخر تأتي سحابة لتلمس جسدي .. ولكن لا سحابة قادرة على بلبتلى...».

ثم انقطعت الكلمات ...

كان عمر يحاول أن يخرج من عالمه الكئيب .. الذي لا يوجد فيه ليلى .. فقط واقع يغزوه المرض.. يكتب عن أي أمل في خواطره... خواطره التي لم يكن يزينها إلا بليلى .. فقد كان يكتب فقط في رحابها .. دون غيرها.

مرت الليالي في روتين قاتل ... إنه بالكاد لا يوجد أصعب من انتظار بلاء ما ... سوف يهوي بك إلى الهلاك .. لكنه يأخذ بالأسباب .. فهو يؤمن بقوله تعالى:»لا تدري لعل اللّه يحدث بعد ذلك أمرا».

أخذ منه السرطان الكثير .. أخذ منه ابتسامته التي كانت تنشر في ميحطه الطمأنينة.. أخذ منه نضارة وجهه .. وعمره ... وأسكنه مستنقعات اليأس .. ولكنه أبى أن يستسلم.

انتظم في العلاج، وقد ساعده في ذلك إصرار والدته ..

تتم المعالجة من مرض السرطان بالعديد من الطرق.. مثل العلاج الكميائي والعلاج الإشعاعي، والمناعي ... وأيضا العلاج بالجراحة ..

إن الهدف من علاج السرطان هو تدمير خلايا الدم السرطانية .. والسماح لخلايا الدم الطبيعية إن تتكون، والعلاج الكيميائي هو استخدام الأدوية لمكافحة السرطان وهذا هو علاج سرطان الدم العادي لمعظم الناس ..

ما يعني تلقي الأدوية على ثلاث مراحل، المرحلة الأولى وتسمى (أندكشن) ... والغرض منها هو تهدئة المرض .. ويتم في هذه المرحلة تدمير واستبدال خلايا الدم السرطانية بخلايا سليمه وذلك عن طريق الأدوية ذات التأثير القوي .. التى من الممكن أن تعطى على فترة طويلة تتراوح بين أسبوع واحد وحتى شهر.

ثم بعد ذلك يلزم الجسم عدة أسابيع لتنمو خلايا الدم الجديدة..

والمرحله الثانية .. (إن تنسفيكشن) ..وتسمى مرحلة التكثيف.. وفي هذه المرحلة يعطى المريض علاجا بغرض قتل جميع الخلايا السرطانية في الجسد.

المرحله الثالثه وتسمى بالمداومة، والهدف من هذه المرحلة هو منع خلايا سرطان الدم من النمو مرة أخرى.

وفى خلال هذه المرحلة يتلقى المريض جرعات أضعف من الأدوية ..

مر «عمر» بالمرحلة الأولى من العلاج، وهذه هي أصعب مرحلة على المريض، فاستجابة المريض تكون ضئيلة جدا، نظرا للنفسية السيئة، والصدمة العميقة التي تحدث في البداية.

والعلاج الكيميائي عدوه الأول شعر الإنسان، فبمجرد تناول أول جرعه يتم تساقط جميع شعيرات الجسد، إلى جانب شحوب الوجه، والتهاب الفم، بسبب تناول الجرعات من خلاله، إلى جانب الهالات السوداء .. التى تظهر أسفل العينين ..

وتتكرر هذه المرحلة لمدة أربعه جرعات .. وقد تخطى عمر هذه المرحلة، بعد أن مر على اختبار البزل.

ومن خلال هذا الاختبار يتم معرفة مدى استجابة المريض للعلاج، وهو عبارة عن أمبول كبير، يؤخذ في العمود الفقري.

قضى هذه المرحلة في تمنٍّ للخلاص بالموت .. ولكن إرادة الله كانت فوق كل شيء، ولك أن تتخيل ..سموما تنتشر في محيطك، وضعفا يسيطر عليك .. بلا مفر.

●●●

في لقائهما الأخير، ارتوى «ساهر» من نظراتها التي توحي دائما بالراحة في صدره، وكلامها العذب الذي يأخذه إلى أرض السماء.

- مش عارفة أنا من غيرك كنت هعمل إيه.

ابتسمت ملامحه ..

- ربنا يخليكِ ليَّ ... وأنا كمان مبسوط أوي إني جنبك.

تذكرت ليلى سريعا كلام عمر، عن بطل فيلم (تويليت) ..(جايكوب) الذى كان كل همه فقط أن يرى (بيلا) سعيدة .. حتى وإن كان ذلك على حسابه. «النفوس الطاهرة دي إللي بتعمل الحاجة بدون أي مقابل بتتحب أوي»..

رنت هذه الكلمات في أذنيها .. وكأنها سمعتها لأول مرة الآن .. كلمات كان قد قالها عمر بإعجاب شديد بشخصية (جايكوب)..

ما أشبهك يا ساهر بـ(جايكوب) هذا .. فإنك فقط تعيش لأجل ابتسامتي ... حتى وإن كنت تعلم أني ما زلت أنبش في قبور الماضي ..

- إيه... نحن هنا ... سرحتِ في إيه؟

- هاه.. لا معاك ..

- لا بجد سرحتِ في إيه؟

- لا ما فيش والله ... أنا معاك.

نظر إليها في عدم تمادٍ ...

- تعرف إني ما كونتش أعرف إن شخصيتك جميلة بالشكل ده ..

- وانتِ تعرفي إنك جميلة أوي ...

قال ذلك بعد نظرة عميقة اخترقت جدارها ... نظرة تبرهن على مدى تعلقه بها .. نظرة حنونة تحتضنها ... وشعر أيضا بأنها لم تعد مشاعرها في جفاء .. كما كانت في السابق .. وكأن شيئا ما قد تغير ..

- تتجوزيني؟؟؟

قالها ولم يخطر بباله أنها سوف تخرج من فمه بهذه السهولة فخرجت كمدفع شديد الضرب .. وانتظر منها رد الفعل ... الذى ربما سيهدم مدينته، التي تعب كثيرا في بنائها ...

تفاجأت كثيرا .. ولكنها لم ترد إلا بابتسامة رقيقه .. مفعولها كان كمفعول السحر على قلب ساهر.

- موافقة؟؟؟

فهـزت رأسـها إلـى جانـب ابتسـامة أخـرى قـد رسـمتها أعلـى وجنتيهـا ...

طـار سـاهر مـن الفرحـة .. وكأنـه عـرف المعادلـة الصعبـة للطيـران ..

فأمسك بيديها ... ثم قبلها في بطن كفيها ...

●●●

obeikandl.com

(١١)

نظرت إليه فوجدته قابعا بنظرة إلى سقف الحجرة، عينان حالمتان... كأنها ترسم لوحة ما ... وكأنه في عالم آخر.

ومنذ هذه اللحظة تعودت عيناها على مراقبته، شخص غريب شارد الذهن طوال الوقت .. وكأنه يعيش في ملكوت آخر.

وعلى الرغم من رأسه الصلعاء، ووجهه القرمزي، إلا أنه لا زال مُحتفظا بوسامته .. تنظر إليه بالساعات فتراه لا يزال ناظرا إلى السقف بتمعن، بلا حراك ... حتى أنه خالطها شعور بأنه فارق الحياة.

ولولا اهتزاز رأسه بشكل طبيعي لاعتقدت أنه الآن جثة هامدة.. ولاحظت أيضا تعلقه بكتابة شيء ما .. فلديه قلم ومجموعة من الأوراق يسكنون دائما أعلى صدره ..

كان يفصلهما عن بعضهما سرير واحد .. ولكنه في الصف المعاكس لها، وكان ذلك كفيلا لمراقبته بصورة واضحة ..

مر على مراقبتها له أكثر من أسبوع ، ولكنها وجدت شيئا خفيا يجذبها إليه .. دافعا قويا يجعلها تستسلم وتخضع .. مع أنها فتاة قوية لم تنصاع يوما إلى رغباتها بسهولة .. بل إنها كانت دائما ملكة ينظر إليها الناس من بعيد.

وسط هذا التفكير العميق، في هذا الشخص الغريب .. قررت أن تقترب منه وتعرف سر هذا الشرود.

- صباح الخير ..

نظر بجواره فوجد فتاة في الثامنة عشر من عمرها، غاية في الجمال ..صلعاء .. ذات بشرة شديدة البياض .. وعينين بنيتين ... وشفتين كوردة لم تتفتح بعد ... متوسطة القامة.

- صباح النور ..

- أنا اسمي ريما ..وساكنه في السرير إللي قصادك ده ..

ابتسم إليها ..

- يعني إنتِ قمر ...وكمان دمك خفيف ..

- هاهاها ...شوفت بقى .....طيب يالا بقى عرفني بنفسك؟

- أنا ياستى عمر ... وساكن في السرير ده زي ما انتِ شايفة.

إيه وصلت لإيه في العلاج؟

- أهو ...الحمد لله ...عديت أول مرحلة ..لسه مش عارف بقى هيبقى في تدخل جراحي ولا ..لأ.

- إنت أصلا بقالك قد إيه ماشي على العلاج؟

obeikandl.com

- أنـا ياسـتى ...اكتشـفت المـرض مـن حوالـى تمـن شـهور ...بـس بتعالـج بقالـي حوالـي سـت شـهور ..وانـت بقـى؟

- أنا تقريبا زيك ..بس بقالي سبع شهور بتعالج ..

- يالا إن شاء الله تخفي وتبقي كويسة ..

- أنا وانت يارب ..

نظرت إلى بعض الأوراق القابعة فوق صدره ..

- قولي بقى ...إيه الورق ده إللي طول الوقت بتكتب فيه؟

- ما فيش ...بحاول أضيع وقتي في حاجة بحبها.

- طيب ينفع أشوف حاجة من إللي إنت بتكتبها؟

- ما فيش مشكلة.

أعطاها ورقة كانت تعلو أوراقه ... فأخذتها ثم قرأتها بصوت مسموع:

«ليتكِ ولدتى بدمي حتى إذا اشتقت إليكِ نزعت عني ألحائي...

ليتكِ فكرة في القلب أوحى بها فصارت ساكنة أيامي.....

الروح والقلب ملككِ وكل وجداني.....

obeikandl.com

والعقل صار مُسلماً أعلامي.....

كم تمنيت الولع، فلما كان، سكن أرجائي .....

وبات مُعينا أيامي.....

وكيف لي أن أنساكِ وأنا من دعوتك في أحلامي .....».

- اللّه ...جميلة أوي ...

- ربنا يخليك.

- عشان كده طول الوقت سرحان في السقف إللي قدامك ده ..!

يا بختها .....

ابتسم لها، ولكنه لم يحاول أن يُدخلها في تفاصيل حياته أكثر من ذلك .. فهي لا تزال غريبة بالنسبة إليه ..ولكنها بداية جيدة، ربما توصلهما إلى صداقة حميمة في المستقبل القريب.

●●●

ما الذى دفعني إلى الاستسلام والخضوع بهذه السرعة؟

ساهر شخص رائع ، ويقف بجواري دائما، ومهمته في الحياة هي إسعادي ..وحقا أنا ممنونة له بالكثير ...ولكنى لا زالت أحب

opeikandl.com

عمر ...لا زلت أجده في أحلامي ..وبجواري ..لا زالت أتنفسه... أخاف أن أمتنع عن حبه ..فتسكت نبضات قلبي ..ثم أموت.

فهناك إحساس كبير يتملكني، بأن أنفاسي ليست ملكي، إنها أنفاس عمر .. فلو أني طردت أفكاره من رأسي لتوقفت أنفاسي في الحال ... فأسقط جثة هامدة ..

فماذا عساي أن أفعل؟

اللهم دبرلي أمري ..فإني لا أحسن التدبير ..

«ساهر» أصبح داخل كل تفاصيل حياتها ..عاش سعيدا في كنفها ...ككهل عاد إليه شبابه .. ولكن شيئا ما بداخله لا يزال ينزف ... شيئا يحاول أن يبعده عن رأسه ولكن بلا نتيجة ... فإحساسه بالذنب من ناحية عمر ..يخنقه...ولذلك قرر أن يذهب إلى عمر ليزوره .. ويطلب منه الغفران .. فهو لا يستطيع أن يعيش على سعادته ...

●●●

اليوم التالي ....

- إيه يا عمر عامل إيه دلوقتي؟
- الحمد لله تمام ...إنت أخبارك إيه؟

obeikandl.com

- الحمد لله .. عامل إيه مع ليلى؟

- منا جايلك النهاردة بخصوص الموضوع ده ..

- خير في إيه؟....ليلى جرالها حاجة؟

- ما فيش ...لا خير ما تقلقش ...كل الحكاية إني مش عارف إزاي هقدر أبني حياتي على سعادتك ..الموضوع ده بيقتلني... حاسس إني مش عارف حتى أفكر ..

- أنا سعادتى هى سعادة ليلى ...وسعادة ليلى إنها تكون معاك...عشان كده أنا مطمن إنها معاك .

- نفسي بس إنها على الأقل خالص ..تعرف إنت بتعمل إيه عشانها ... أنا طول الوقت ببقى عايز أقولها ..وأفهمها... نفسي لساني الأخرس ده يتكلم ...بس مش قادر.

- اوعى .....ساعتها ...هتخسر كل حاجة ...ما تقلقش.. ومتحسش بالذنب ...أنا مرتاح كده .. وزي ما قولتلك ..أنا هموت وأنا مرتاح في قبري ...طول ما هي معاك ...

- بعد الشر عليك ... إن شاء الله تخف ..وتقوملنا بالسلامة...و....

قطع حديثهما ممرضة بدينة لا تملك أيا من صفات المرضات ...موجهة حديثها إلى ساهر ..

- بعد اذنك ...احنا محتاجين المريض عشان اختبار البزل ...

- آه طبعا ...طيب يا عمر أنا هعدي عليك تاني بكرة عشان نكمل كلامنا ...وألف سلامة عليك.

ثم عاد إلى منزله ... حاملا في طيات صدره الراحة بعض الشيء ... على أمل تكملة الحديث مع عمر في اليوم التالي ..

●●●

قام «عمر» باختبار البزل ... ولكن هذه المرة لم يكن الألم لا يحتمل ككل مرة، حيث إن ألمه النفسي كان أكبر،وأعمق .. ولذلك جاء الاختبار بصورة محتملة، فتفكيره في كلام ساهر أرهقه كثيرا ...فهو يخاف من ألمها ...لا يحتمل أن تراه على هذا الوضع البائس.

قضى ساعات طويلة يفكر .. ويحاول أن يجد حلا .. فلم يجد سوى حل واحد ... هو الذى سوف يُنجيه من هذه المواجهة.

نظرت إليه فوجدت وجها عبوسا، وأطرافه ترتعش .. فاتجهت إليه وتحدثت معه .. وألغت من قاموسها التطفل ..

- مالك في إيه؟.. هو الشخص إللي كان هنا ده ضايقك في حاجة؟

لم يجد مفرا، فهي الوحيدة التي ربما سوف تخرجه مما هو فيه، فكلماته الضالة التي يكتبها لم تكن كفيلة هذه المرة في راحته.

- هاحكيلك ..عشان عايزك تساعديني.

فبدأ بسرد قصته ...

كانت تحس بي قبل أن أحس بنفسي ... كانت تحس بأحلامي قبل أن أحلمها .. وتحس برغباتي قبل أن أريدها ... كانت الوردة الوحيدة التي تزين بستاني ... ومشكاة ظلمتي ... عرفتها قبل أن أعرفها ... تنفست رحيقها قبل أن أتنفس... ثم جاء المرض ... ليحرق بستانى ... ويطفئ مشكاتي ... ويدعني في بحر من الدموع.

ثم انتهى ...

فنظر إليها فوجد عينيها تلتهب من غزارة البكاء .. فندم على حديثه إليها ... فهو دائما يكره نظرة الشفقة المنعوتة .. التى دائما ما كان يراها في عيون من حوله .. إلا ليلى .

– أرجوك تهدي ... ما تخلينيش أندم إني حكيتلك ...وبعدين عايزك تساعديني ..

مسحت دموعها ...

- معلش ...أنا أسفة.

- عايزك تساعديني ... دلوقتي أنا خايف ساهر يضعف ويقولها ... دي ممكن تموت فيها ... متعرفيش ليلى كانت متعلقة بيَّ إزاي ...أنا فكرت كويس ...ومالقتش غير حل واحد.

- إيه هو؟

- إني أموت بالنسبة لساهر ...لأن هو الوحيد إللي عارف بموضوعي.

- بعد الشر عليك ...

- اهدى بس ... أنا قصدي إن حد يقوله إني مُت.

- آه فهمت ...طيب هنعملها إزاي دي؟

- أنا سمعت إن ليك حد قريبك بيشتغل في الرسيبشن ..؟

- آه ...دي صفاء بنت خالتي ..

- طيب ينفع تكلميها .. وتتفقي معاها إنها تقول لساهر ..

obeikandl.com

- حاضر ..هقولها.

- ساهر جايلى بكرة.. وهو في الغالب بيجيلى بدري ...الساعة عشرة الصبح مثلا ..

- طيب كويس.

- إنت طبعا شوفتيه النهاردة؟

- آه.

- طيب تقدري توصفيه كويس لبنت خالتك؟

- آه ...وبعدين هو كده كده ...هيسأل عنك في البداية ..فهتعرفه ...

- طيب هي أصلا هترضى تساعدنا؟

- آه ... إن شاء الله هترضى.

- ربنا يستر.

●●●

فى تمام العاشرة صباحا، كان في الموعد ككل مرة .. ركن سيارته في جراج المستشفى، ثم اتجه إلى مكتب الاستقبالات.

كانت «صفاء» تنتظره في الموعد المحدد.. وبمجرد أن اقترب، تعرفت على ملامحه .. فملامحه بالكاد مميزة ..وسامته ..ولحيته الخفيفة ... التى تزين وجه ..وعضلاته المفتولة ... تجعله شخصا لا يختفي من الأذهان بسهولة ..

- لو سمحت ..عايز أدخل غرفة ٢٠١.

- اسم المريض إيه يا فندم؟

- عمر محمد السيد ..

نظرت في الأوراق التي أمامها ..

- البقاء لله يا فندم ..

- مات؟؟؟؟

ضاقت به الدنيا .. وكأنها لم تكن واسعة يوما .. ونزلت دموعه بغزارة ... كأنه فقد أباه، وتذكر أيامه الأولى .. وكيف كان يكره قربه من ليلى ... وتذكر حقده عليه، وكيف كان يتمنى له الموت.

لو أعلم أني سوف أحبك هكذا .. وأني سوف أتألم لفقدانك هكذا ... لبقيت صديقا لك حتى وفاتي ..ولجعلتك قُربي منذ أول لحظة، وقعت عيناي عليك ..

●●●

obeikandl.com

نجحت خطة عمر بمساعدة ريما، فأصبحا صديقين مقربين...

- إنتِ إزاي اقنعتِ بنت خالتك إنها تساعدنا؟...مع إن الموضوع ده كان ممكن يتسبب لها في مشكلة؟

- بص...صفاء قريبة جدا مني ...ومتربيين مع بعض ...بس طبعا كانت عايزة تعرف أسباب الموضوع ..فاضطريت أقولها ..

نظر إليها في صورة مبينا (١١١) ...نظرة تدل على الضيق ..

- أنا عارفة إنك ما بتحبش حد يبصلك ..بصة الشفقة والعطف دي ..بس هو ده كان الحل الوحيد ...

والمهم إنك عملت إللي إنت عايزه ..

ابتسم إليها ...وشكرها على مجهودها معه ...

تعرفت على تفاصيل حياته أكثر ..وبدأ شعور يزحف نحو قلبها ...

لعله الحب .....

- وانتِ بقى احكيلي شوية عن حياتك قبل المرض؟

- حياتي كانت تقليدية، والدى بيشتغل محاسب في بنك ..ووالدتي ست بيت ...وأنا بنتهم الوحيدة .. عشان كده نفسي أخف عشان أقدر أسعدهم ...

- إن شاء الله تخفي وتبقي زي الفل ..

- يارب ...بس.. حياتي كانت ماشية بصورة طبيعية ...بنت وحيدة ..واخدة كل اهتمام والدي ووالدتى. كنت ماشيه كويس في الثانوية ..بالمناسبه أنا في سنة تالتة ثانوي ..

بالنسبة بقى لحياتي العاطفية ..كنت بحب واحد من وأنا في أولى ثانوي ..وهو كان في تانية جامعة .. كان أخو صاحبتي ...كنت بحبه حب عبادة... حاجة كده من إللي فراقها بيوجع أوي ...ومع إني كنت مِدلعه وصعب أي حد يسيطر على شخصيتي ... إلا إنه كان مسيطر عليَّ جدا ..وأنا عشان بحبه كنت بسمع كلامه في كل حاجة ...عارف كمان ...كان الإنسان الوحيد في الدنيا إللي كنت بحسه قدامه إني ضعيفه ..وكنت كارهة ده في نفسي أوي ...كان كل حاجة ليَّ ...كنت بخاف على شعوره وبحافظ على نفسي عشانه ..وعشان ربنا يباركلي فيه ...لحد هنا كانت كل حاجة ماشية طبيعية...بعد الفترة دي اتغير جدا..بقى صوته بيعلى ...وكمان إيديه ..آه كان بيضربني ..وأنا عشان بحبه كنت ما بقدرش حتى

أزعل منه ..ومع الوقت بقى في فتور في العلاقة.... واهتمامه بيَّ قل ..واكتشفت مع الوقت إنه مش راجل ..

- يعني إيه؟

- مش راجل ...يعني ماشي مع أكتر من واحدة .. وبيمثل عليهم نفس الدور ..اللي بيمثله عليّ .. كان عنده نقص ..وللأسف عشان بحبه كنت حتى ما بقدارش أواجهه.. كنت ضعيفة لدرجة لا تتخيلها .. وما عرفش وصلت معاه للدرجة دى إزاي ...يمكن عشان ماكانش ليَّ أخ ..فكنت بحس فيه أخويا .. وحبيبى ...وجوزى ....وسندى.

- وبعدين؟

- دي كانت أصعب مرحلة في حياتي ..إني إزاي أقدر أتخلص من الشبح إللي معشش جوايا ده .. قررت إني هقعد في البيت ..مش هخرج لمدة ست شهور ..بدون موبايل ..أو أي وسيلة توصلني بيه.. بص لو قولتلك إني مت... فعلا مش هتصدقني ... كان صعب عليَّ أوي ...بس قدرت ..وساعدني فى كده الصراحة البنات صحابى ...فضلوا جنبي .. وكانوا كل يوم عندي في البيت .. وعديت الست شهور ... وكان لازم أدخل بقى في مرحلة المواجهة .. طبعا أنا كنت بعدت عنه من

غيـر مـا يحـس ... انسـحبت كـده براحـة ... بعـد كـده عرفـت إنـه بيسـأل علـي .. وصحابـي كلهـم كانـوا بيتهربـوا منـه ... حتـى أختـه ..قطعـت علاقتـى بيهـا ... وقابلتـوا ... قابلتـوا صدفـة بعـد سـبع شـهور ..وسـلمت عليـه بـكل بـرود .. مـا عرفـش جبـت البـرود ده منـين .. بـس قـدرت ..

وفضـل بقـى يتكلـم معايـا وسـألني كنـت فـين ...وإيـه إللـي خـلاكِ تبعـدي ..والـكلام ده ...بـس اتفاجـئ إن اللـي قدامـه دي واحـدة تانيـة...

بقيـت بتكلـم وأنـا عينـي في عينيـه ...عايـزة أقولـه إنـي خـلاص ..اتغيـرت .. ريمـا إللـي عرفتهـا ماتـت ..اللّه يرحمهـا .. وجبتلـه القـديم والجديـد ..بالبلـدي إديتـوا علـى دماغـه ..وسـبته ومشـيت .. مـش عارفـة أنـا جبـت القـوة دي منـين ...بـس حسـيت إنـي ملكـة ...وهـو ولا حاجـة بالنسـبة لـيّ .. وبعدهـا حـاول يرجعلـي ..وزق عليَّ نـاس صحابـه .. وجالـي بنفسـه لحـد البيـت عشـان يتقدملـي رسـمي .. ورفضتـه ... وسـاعتها حسـيت إنـي أخـدت حقـي ...

بس يا سيدي ..هى دي كل قصتي ...

●●●

سيطر عليه حزنه .. ولم يستطع حتى أن يقف أمامها، فموت عمر لم يمر على وجدانه مرور الكرام، ويحتاج إلى وقت حتى يلم جرحه ويداويه، وليلى تنظر في أمره بكثير من الاستهجان .. تتصل به كثيرا على هاتفه، ولكنه لم يستجيب لأي من اتصالاتها .. حتى أنها قلقت وخافت أن تفقده هو الآخر.

ثم ذهبت إلى منزله ..

- ما بتردش عليَّ ليه بقالك أسبوع؟

- ما فيش كنت تعبان شوية ..

- مالك طيب في إيه؟

- ما فيش ...شوية إرهاق.

- طيب ما بترودش عليَّ ليه؟

نظر إلى أسفل قدميه ..ولم يرد ..

- في إيه يا ساهر؟

أيضا لم يرد ...

شعرت وكأنه يحاول أن يبعدها عنه .. ويتخلص منها ...

- خلاص فهمت ...إنتوا أصلا كلكوا صنف واحد ..

obeikandl.com

نظر إليها ثم انفجر بالبكاء ...

فلتقسي علي كما تشائين ...فلتقتلي خيالي ..ولتذبحي أوصالي ...إلا عمر ..

إنكِ لو علمتِ ما فعله لأجلك ...لبكيتِ عليه حتى تجف أنهارك ..لو تعلمي الوحل الذى ألقى بنفسه فيه لأجلك ..لنقطع نبضك في الحال ..

إلا عمر يا ليلى ...

فإن ما تحمله لأجل ألا تمرضي يفوق تحمل الجبال ..

وفي لحظة أخرج كل ما في جعبته دفعة واحدة ...وأخبرها بما أخفاه عنها طوال هذه الفترة ..وما إن سمعت بخبر وفاته حتى سقط عودها على الأرض ..مغشيا عليها ..

انطفأت الأنوار ..وسادت الظلمة في الأرجاء ...ووقف الليل بسواده القاتم ينبُش في زواياها ..وأكثر ما كان يؤلمها هو إحساسها بأنها ظلمته ..وظلمت إحساسها به، إلى جانب فقدانه بهذه الصورة التي تسحب روحها منها ببطء ..كأن سكينا باردا يقتلها ..

كيف فقدت هذه الروح الطاهرة التي أحبتني من أعماقها؟

كيف استسلمت وتركت نفسي تعذبني ...

obeikandl.com

إلى من تركتني يا عمر؟ ...إلى من؟

لقد كان الوقوع في غرامك أمرا سهلا جدا، لكن نسيانك أمر لا طاقة لي به..

●●●

عاش «ساهر» بالقرب منها، لم يكن ليتركها إلا للضرورة القصوى، فهو يعلم صعوبة الصدمة التي تعرضت لها، ويشعر بالسوء، لأنه كان هو مصدر الخبر الذى أوجعها.

لكن داخل أعماقه يشعر ببعض الراحه ..لأنه قد أزاح هذا الهم عن كاهله، وأنه حتى لو لم تكتب له ليلى ..فسوف يعيش سعيدا ..فحياته على سعادة شخص ما ..أمر لا يقدر على تحمله.

●●●

مرت المرحلة الأولى من العلاج على عمر بصورة شديدة الصعوبة، ولكن الأهم من ذلك أنه قضاها ..وانتهت.

وبدأ مرحله (الويكلى).. فى هذه المرحلة ينبت الشعر من جديد في جسد الإنسان، ويمارس المريض حياته بشكل طبيعي مع المتابعة الأسبوعية مع الطبيب.

بينما «ريما» فقد احتاجت إلى تدخل جراحي في عمليه تسمى بالزرع النخاعي، وهذه المرحلة أصعب من المراحل السابقة، والأصعب في ذلك أن عمر سوف يخرج إلى الحياة مرة أخرى ويتركها وحيدة كما كانت، فقد اعتادت على سماعه ...ومُداعبة صوته ...ألحانه ..وعُمقه في الكتابة ...هيكله ...وتركيبته.

كانت قبله بلا روح فجاءها، فسكنت الروح داخلها، فعاشت بخيالها، ولخيالها، ثم اصطدمت بالواقع. واقع أشد ألما من المرض الذي يأكل في جسدها .. ولا يعني ذلك أنها أنانية ترغب في بقاء عمر في الألم ..

كلا ..

فهى سعيدة جدا بأن الحياة أعطت له فرصة أخرى .. ولكن الفراق أمر يصعب تحمله.

- مبسوطة أوي إنك الحمد لله أخدت شوط كبير في العلاج ..
- الحمد لله ..وانتِ إن شاء الله العملية تنجح ونتقابل برة بقى .. أنا زهقت من الممرضات إللي هنا شدي حيلك إنت بس ..
- الحمد لله ..المهم إنت ...مع إني هفتقدك أوي ...
- تفتقديني!!!.....هو أنا هسيبيك ولا إيه...قاعد على قلبك.

ابتسمت ابتسامتها المعهودة التي تقف الدنيا كلها على قدميها لتشاهد بديع الخالق .. فسبحان المصور.

●●●

عاش حياته بصورة قريبة من الواقع ، فهو مقيم في منزله.... لا يخرج إلا لمتابعة العلاج وزيارة ريما ..

يزورها بين الحين والآخر، يرتوي من حديثها، ومداعبتها ... ويحاول أن يهون عليها ما هي فيه .. ويعطيها بسمة أمل تدفعها إلى مواصلة العلاج والخروج من مستنقع اليأس.

ويعيش بين ذكريات الماضي، وبين الواقع، يتذكر ليلى بكل تفاصيلها، ثم يبتعد بهذه الأفكار التي تتركه بائسا، ثم يذهب إلى أرض الواقع .. فيجده خاليا لا يحمل في طياته إلا الألم ..

ينسى ..ويتناسى ... ولكنه في النهاية يعود إلى الطريق نفسه...كأنه داخل متاهة لا نهاية لها ..

يخالطه بعد المشاعر القديمة فيراوده خاطرا بالعودة إلى ليلى ..فهو الآن لديه بعض من الأمل في الحياة ..لكنه في النهاية يصل إلى طريق مسدود.

فعلى كل حال ساهر أفضل منه بالنسبة إليها، وسوف يعطيها أكثر مما يقدر هو عليه ..وأيضا هو لا يأمن مكر المرض ...فربما ألقى به مُجددا إلى حافة الهلاك ..

وربما قد تعلقت به تعلق الجنون ... فنظراتها المُحتضنة .. وغُربتها في غيابه تكشفها ... وهو لا يبادلها مشاعرها نفسها، ولكنه داخل مشاعر صادقة تصيبه بالارتياح النسبي.

فلربما يقضي أيامه معها ..ويلفظ أنفاسه الأخيرة في كنفها ... فهي الأنسب له في النهاية.. وهي من تشعر بألمه ..وتشاركه فيه.

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

(١٢)

حدد الدكتور يوم الاثنين -في تمام العاشرة والنصف صباحا- لإقامه عملية جراحية في غاية الصعوبة ..يوم سوف يُحدد مصير عائلة بأكملها. إذن ربما نجاح العملية يُعطي الأمل لعمر في مواصلة حياته في الفترة المقبلة.

فهي الآن أقرب الناس إليه ..فمنذ أن عرفها تعود على ملازمتها له ..والحديث معها في كل الأمور التي تخصه.. وربما سبب ذلك هو أنه يشاهد فيها دائما صورة ليلى .. أو لأنها الوحيدة التي تشعر بألمه وتشاركه فيه.

يقف «عمر» ماسكا بيديها، شاددا من أزرها، يعطي لها بعضا من جرعات الأمل، وهي راقدة بين الواقع والوهم، تنظر في عينيه فترى صورتها وشغفا قد ملأ عينيه.

هل هو جغرافي؟.. هل هو قارئ كف؟ ..هل هو شاعر؟... هل هو صوفي ؟... هل هو درويش؟ ..عاقل؟.....مجنون؟...كل ما أعرفه أن قلبي مستستلم لنبضاته له ...فربما يوجد بعض الحقيقة داخل هذا الوهم.

ثم فقدت الوعي ..

وأخذتها ممرضتان عبر سرير متحرك إلى غرفة العمليات ..

●●●

أن تفقد شخصا ما ..مُقرب إليك يجعلك تعيش للحظات بين الواقع والوهم ..يجعلك تتمنى الموت إذ ربما يوجد فيه خلاصك ... فتعيش بلا واقع ..ذلك الواقع الذي يدفعك دائما إلى الاستمرار والتخلص من مُجريات الأمور الصعبة ..وبلا هذا الواقع تعيش بين صرخات اليأس ..وربما دفعتك غرائزك الوحشية إلى الانتحار ...

أغلقت باب الحمام لدقائق، بعد أن أدخلت آلة حادة معها .. نظرت في المرآة ..ودموعها تبل شفاهها ..

ثم استسلمت ...

وشاهدت روحها تخرج ببطء من جسدها ..وتقف بين بوابة الموت وبوابة الحياة عاجزة ..ودماءها تتساقط كأوراق الشجر... شجرتها تموت ببطء ..ببطء يزيد من ألمها ...فكانت تعتقد أنها بمجرد أن تقطع شريانها ..سوف تذهب إلى الجنه مُباشرةً ...تلك الجنة التي يسكنها عمر.

إن المنتحر ينظر إلى الدنيا نظرة ضيقة جدا ..فتهوى به نفسه الشيطانية إلى الانتحار ..مُتنبئة له بلذة رائعة ..وبمجرد أن يقطع شريانه أو يتعاطى سُماً ما ...يكره اللحظة التي فكر فيها في الانتحار.

كانت جدتها تعلم جيدا بالمرحلة الصعبة التي تمر بها ليلى.. فكانت على دراية بما سوف يحدث.. لذلك كانت تراقبها دائما بعيون باردة ..

فاستنتجت ما حدث جراء تأخرها في الحمام.. فأسرعت ثم دقت أوصال الباب على نحو عنيف، بدون إجابة ... فصرخت صرخة شديدة سمعت على إثرها المدينة كلها ..

جاء البواب وبعض من الشغالات ...ثم كسروا الباب... ليجدوها غارقة في دمها ..

●●●

مرت أكثر من خمس ساعات .. ربما هم الأصعب في حياة عمر، كان يقف على أطرافه كلها ..يرجو الله أن لا يؤذيه فيها، فهي الآن آخر ما تبقى له في هذه الدنيا البائسة.

يمسك بمصحف صغير قد أعطته إياه منذ أمد قريب .. وبجانبه والداها ينتحبان ..فكلاهما يشتركان في تعلقهما الشديد بها ... وأيضا ثلاث من صديقاتها ..من بينهن صفاء.

انفتح الباب على مصراعيه، ليخرج منه طبيب في زي أبيض ككل الأطباء ..في العقد الرابع ..أصلع إلا من بعض الشعيرات البيض ..متوسط البنية ...يرتدي نظارة بيضاء كبيرة ..ومعه ممرضة في أوائل العشرينات ..متوسطة الجمال.

أسرع إلية عمر ووالداها في لهفة ...لهفة الغريق الذي يتعلق بلوح خشبي داخل محيط شديد الظلمات.

عرف «عمر» من الوهلة الأولى أن هناك شيئا خاطئا قد حدث، فكانت نظرات المواساة تحيط بالمكان ..تلك النظرات التي عاش في كنفها طويلا.

تحدث والدلها قائلا:

- طمني يا دكتور ..

- البقية في حياتكم ...

قالها بكل برود .. برود الثلج المُتساقط أعلى أوراق الشجر النابت على قمة جبل .. قالها ولم يتردد ..وكأنه يبارك لهما.

فقط اكتفى بالنظر أسفل قدميه ...

سمع عمر الخبر .. وكأن الطبيب يقول له ..لا أمل في حياتك ..فلتبحث لنفسك عن مُوتة ..ولكنه كان يشعر بأن هناك خطبا ما ..فلا يمكن أن تحرمه الدنيا من ليلى وريما بهذه البساطة ..لا يمكن أن تكون الدنيا بهذه القسوة.

لا ...هناك أمر ما خاطئ ..

لـم يبـالِ بحـال أبيهـا الـذي لـم يشـعر بقدميـه ..ربمـا أصابـه الشـلل، وأمهـا التـي سـقطت علـى الأرض ..فقـط أسـرع إلـى غرفـة العمليـات ..ليـرى إن كانـت تحـت النبـض.

مُحـال يـا ريمـا أن تتركينـي في هـذه الظـروف الضحلـة، فإنـي فقـط أحيـا مـن أجلـك ..أعلـم أنـي قصـرت معـك ..ولـم أدع قلبـي يتعلـق بك...ويبادلـك شـعوريك نفسـها ..إلا اننـى لا أسـتطيع العيـش بدونـك ..إنـي كنـت فاقـدا العـودة إلـى الحيـاة مـرة أخـرى ..وكانـت روحـي مُعلقـة بـين طيـات السـماء والأرض ..فجئـتِ إلـيَّ ...حتـى اسـتطعت بـك أن أضـع روحـي مـرة أخـرى علـى أرض صلبـة.

مُحال أن تتركيني ...

يقـف بجوارهـا فيراهـا .. بشـكلها الملائكـي ...بشـرتها البيضـاء ..ورمشـها الأسـود الـذى يغلـق علـى جفنيهـا ..مَـد أطرافـه أعلـى خدهـا ...فلمسـه ..فوجـده بـاردا كالثلـج ..حـاول أن يسـتيقظها ..ولكنهـا لـم تسـتجب ...حـاول أن يحركهـا ...ولكـن بـلا أمـل ..

فانقـض عليـه ثـلاث ممرضـات ..كل منهـن يبعـده بشـكل رادع، وهـو لا يستسـلم ..يمـد أطرافـه نحوهـا ..كالمتعلـق بآخـر نفـس ...

●●●

استيقظت في هدوء، فوجدت نفسها في أحد المستشفيات، وبجوارها ساهر. وجدتها ..ووالديها، فوقع اليأس في مُحيطها من جديد، فكانت تنتظر أن تستيقظ على عيني عمر ..ولكن القدر عفاها ..فاستغفرت ربها ..ثم تمادت في البكاء.

مرت شهور وأيام وساعات صعبة، سكن الحزن فيها مكان الفرح ..وعاش الليل بظلامه مكان النور ..ولكن مع الوقت استطاع ساهر تدريجيا إخراجها ظاهريا مما هي فيه.

عاشت بلا واقع وبلا هدف، فقط نبضات قلبها تنبض لتحيا، لم يتبق لها الآن سوى ساهر، فعاشت لأجله، ثم ارتوت من كؤوس الأدب ..تعيش كل ليلة داخل رواية جديدة ..تحتضنها ..وتعيش معها كبطلة ..تنفر من حياتها لتعيش حيوات أخرى ..يشكلها الكاتب بين يديها ..

إنه لا يوجد شخص يعشق الكتب وشخص آخر يبغضها ..بل يوجد شخص يطلق لنفسه العنان حتى يعيش حياة الرواية أو الكتاب وشخص آخر يغلق عينيه.

وساهر قد مَل من كونها لا تستطيع الاقتراب من خلايا قلبه، فهو وإن كان إنسانا يرغب دائما في ما يجعله في مكان الملك ..وهو ملك بطبيعته.

فمنذ نعومة أظفاره وهو يعيش حياة الملوك، داخل مجتمع أرستقراطي قوي ..إلى جانب وسامته التي كانت دائما تُسهل عليه فرائسه ..

ولكن كل ذلك كان قبل أن يعرف ليلى، فهو الآن لا يرغب سوى في الحصول على قلبها ..والحياة بالنسبة له هو سعادتها.. حتى وإن كان في نفسه بعض من الألم ..بسبب عدم قدرتها على إعطائه ما يرغب أي قلب في أخذه.

●●●

ماتت ريما ومات معها ابتسامته ..ماتت فانطفأت مشكاته الصغيرة التي كانت تحمل ضوءا ضئيل كان يعطيه بعضا من الأمل في العودة ..

فيرغب في الانتحار بشدة ..ولكنه لا يستطيع ..فهو لا يمكنه أن يخسر الدنيا والآخرة معا ..فالدنيا جاءت له من البداية حتى يخسرها ..وأجزاؤها كلها كانت تحمل في طياتها الألم ..ثم ازاد الطين بلة عندما جاءه المرض، حتى وإن كان قد تخلص من الجزء الأكبر منه ..إلا أنه لم يتركه إلا بعد أن أخذ منه كل شيء ..

أخذ منه ليلى ...

فهي حقا كانت كل شيء بالنسبة إليه ...حتى ريما التي كانت تعطيه بعضا من جرعات الأمل ...التي كان يظن أن السماء وهبته إياها ..حتى يستطيع أن يعيش باقي أيامه بصورة قريبة من الراحة ..انتهت هي الأخرى ..

وعاش الألم .....

فأخذ في نفسه قرارا بأن يقف عند هذا الحد من العلاج، وليدع المرض يشكل طريقه، ولكنه حتى في ذلك لم يستطيع .. فوالدته مُتعلقه جدا بوجوده ..وهو يشعر دائما أن الله قد عافاه حتى لا يؤلمها فراقه.. فانصاع إلى رغباتها ..وإن كان على غير رغبته ..

●●●

يقول (روبن ويليامز) «كنت أظن يوما أن أسوء شيء في الحياة هو أن ينتهي بك الأمر وحيدا ..لكن ..لا ... أسوء شيء في الحياة هو أن ينتهي بك الأمر مع أشخاص يشعرونك بأنك وحيد».

أفكار جمة جعلته يعيش خارج الأرض، أحاديث كثيرة تُمزق عقله، وذكريات حياته تضيق عليه الخناق، فيقود سيارته بسرعة جنونية ..لا يمكنه السيطرة على أفكاره.

لقد رأيت أمورا غريبة ..ولكن اللغز الوحيد الذي لم أحله.. كان ..لماذا لم يستطع قلبي الاستغناء عنك.

لا يريد أن يبتعد عن محيط ليلى، ولكنه يرغب بشدة في التخلص من حبها في قلبه ..

يتذكر جيدا عمر ..وكيف ضحى لأجلها، يكاد تكون صورته وقد هزمه المرض لا تفارقه.

وسط هذا الشرود فوجئ بسيارة سوداء تكاد تقترب منه فحاول التحكم في عجلة القيادة ولكن الزمن قد توقف ..ليأخذ القدر مجراه ..وليقع في عداد الموتى ..لكى يجعل الحزن في حياة ليلى كأمواج لا تنتهي ...

●●●

صدمتان في الرأس تقتل ...

ترنو في صورته داخل حجرتها طويلا ..حتى شعرت بالدمع يدب في أعماق عينيها ..فتركت عينيها بحرية لتضع بئرا من الدموع أسفل قدميها ..

وأحيانا تشعر بفقدانها السمع، فقط صرخات تدنوا من أذنيها ..وأحيانا أخرى تعتقد أنها فقدت القدرة على الكلام ..

كل ذلك لم يكن أصعب من الكوابيس التي تلاحقها في الظلام ..كوابيس تجعلها تعيش كل ليلة في حكاية جديدة، ولكن هذه

الحكايات لم تكن تستمتع بها كاستمتاعها بالروايات التي تقرأها، بل كانت تحمل في طياتها الألم والفزع.

وجدَّتها، وأمها ، قد باتا ينامان النهار، ويقضين الليل بجوارها، وخافا أن تصل مجددا إلى حالة اليأس الأولى التي أوقعتها في بئر الانتحار بعد وفاة عمر ..لذلك كانا لا يفارقنها.

عاشت في اكتئاب كاد يخطف لونها، ويخنقها، وكانت ترغب في الانتحار بشدة، ولكنها لم تستطع بسبب تجربتها الأولى ..فإحساس العيش بين السماء والأرض هذا جعلها تفزع وتنفر من هذه الوسيلة، حتى وإن كانت هذه الوسيلة هى سبيلها الوحيد في التخلص من هذه الكوابيس.

فعاشت على المُهدئات التي جعلت من وجهها شبحا أسود لونه .. حتى أن والدها عرضها على طبيب نفسي مقرب من العائلة ..ولكنه لم يفدها كثيرا .. فالليل أصبح في حياتها لا يأتيه نهار ..والبرد أصبح في مُخيلاتها كالحصار ..الذي يضع أسلاكه الشائكة بخطوط طولية وعرضية أعلى قلبها.

●●●

(١٣)

غالبا اللوكيميا (سرطان الدم) نسبة الشفاء منه تكاد تكون معدومة ..ولكن المعجزه قد حدثت بالفعل، فنسبة السرطان في دمه قليلة جدا ..وذلك بعد آخر اختبار بزل أقامه.

وكأن الدنيا تعانده .....

فلو أنه أراد الحياة ..لانقطع نبضه في الحال ...ورغبته في الموت مؤكدة، وهو لا ينكرها ..ويريدها بشدة ..إلا خوفا من ألم أمه بسبب فقدانه.

لذلك كانت الحياة لعنته ....

اقتربت والدته منه أكثر، فعاشت وسط حزنه، وكان تحمُلها يفيق ألمه، وحاولت بكل جهدها أن تخفف عنه، أو أن تشغله بشيء يستخرج منه بعضا من شذايا الأمل.

فساعدته على الاقتراب من الأدب مرة أخرى ..ذلك الشيء الذي ولع به منذ الصغر، وكانت له أعمال كثيرة أدبية لم تخرج إلى النور حقا ..ولكنها كانت تسعده، وتستهويه. وتشغله.

اتجه إلى الكتابة وترك قلمه يشجن ويسحر أوراقه ..ويطلق لنفسه العنان حتى يرى العالم من أفق أخرى ..يرى العالم كلوحة جميلة مرسومة باتقان ..ألوانها زاهية ..مُزركشة ..ترسم في نفس كل من رآها البهجة والراحة ..

وشِعْره قد اختفى باختفاء ليلى، وكأنها مُلهمته الوحيدة التي تستخرج منه كلماته ..وهي الآن بعيدة جدا عن مُحيطه ..حقا هو لا يزال يراها في منامه ..إلا أنه يبتعد بتفكره عنها ..ولا يترك نفسه للتأمل في ملامحها من جديد ..فهو يعلم أنها الآن داخل أحضان ساهر.

وبمجرد تفكيره فيها يضع نفسه في بئر الخيانة، وهو لا يتحمل كونه خائنا ..حتى وإن كانت خيانته فكرة تسكن فقط بين خلايا مخه.

كان يرغب بشدة في الاطمئنان على والدي ريما، ولكنه لم يستطع وكان دائما ما يبتعد، فهو إن زارهما سيرى ريما فيهما .. فيفتقدها بشدة فيزداد ألمه ..وهما أيضا يتملكهما الشعور نفسه.

وهو لا يزال يذهب إلى قبرها كل يوم جمعة، حاملا معه بعض الزهور البيضاء التي كانت ريما تعشقها في حياتها ..لذلك كان يجد في ذلك سبيلا للتقرب من روحها، ودعاؤه لها طوال الوقت.

(١٤)

مرت أربع سنوات كانوا الأصعب في حياته ..كان يومه في الغالب ينتهي بكابوس يخنقه طوال الليل.

بل لحظات النوم التي قضاها في هذه الفترة ربما يتذكرها جيدا ويحسبها بلحظاتها وذلك لندرتها.

أوصال الجرح القديمة لا تزال تلاحقه، إلا من بعض الأوصال التي ضمضتها الأيام ..فخير نعمة وهبنا الله إياها هي النسيان ..وإن كانت بعض أشلاء الماضي لم تدفن بعد.

أرسل أحد أصدقائه الى الجدد إلى الجامعه حتى ينقل أوراقه إلى جامعه أخرى ..خوفا من أن يتعرف عليه أى شخص من الماضي.

وهو بالنسبة للماضى من تعداد الموتى .. وهو لا يرغب في أي مشاكل جديدة قد تلاحقه ..لذلك أرسل صديقه حتى ينتهي وبصورة نهائية من ماضيه.

وهو الآن ابن المستقبل، حتى هيكله، وهيئته تحولتا، تخلص من هيمنة قصة شعره القديمة .. وقرر اللجوء إلى أي صيحة أخرى جديدة يُخفي هيئته داخلها ..فأصبح شعره كثيفا يصل إلى القرب من عينيه.

وكان من أسباب ذلك أيضا هو حرمانه من الشعر داخل جسده طوال الفترة السابقة، فترة المرض التى عان فيها.

انتهى من سحب أوراقه من الجامعة القديمة وسط الذكريات ..ثم اتجه إلى تقديم أوراقه .. محاولا الولوج إلى القمة كما كان في سابق عهده. وباتت حياته تنتظم وتأخذ الشكل الروتيني.

أما عن مرضه، فالفحوصات الأخيرة زادته طمأنينة ..فالدم في جسده يسير بصورة طبيعية ..وبدأ تدريجيا التخلص من نصائح الأطباء التي كانت تلاحقه أينما حل.

●●●

بدأت تدريجيا الهروب من الأفكار التي تؤلمها إلى شيء تشغل عقلها به، وكان اختيارها لإعادة حياتها إلى السابق أمرا حكيما ..ساعدها والدها في اتخاذه.

ولكن كان من الصعب أن تكمل دراستها وسط أماكن الذكريات وكأنها تضع الوقود بجوار النار ..لذلك قررت أن تنقل أوراقها إلى جامعة أخرى ..وقد كان والدها حريصا على أن تدخل ابنته جامعة خاصة، شيئا ما يليق بها ..إلا أنها رفضت بشدة ..وقد كان مبررها أنها لا ترغب في حياة مليئه بالترف والسهرات، والحفلات، فقط تريد حياة تقليدية تسبح في داخلها بعيدا عن شذايا القلق وبحور الذكريات القديمة.

وقع اختيارها على جامعة حلوان، أخذت معها صديقتها نيفين، ووالدتها ..في سيارتها ..ثم اتجهن إلى الجامعة.

نزلت من سيارتها ورنت بالقرب من الكلية، وعلى بُعد خطوات من الباب وقعت عيناها على عينين مألوفتين بالنسبة إليها ..وطالت نظرتها ...

لا تعلم إذا كانت تعيش الواقع أم تخونها عيناها ...

بالتأكيد هو .....

فلا أنسى أبدا هاتين العينين اللتين تحملان سنوات من الحزن وأشلاء الماضي السحيق ..هاتين العينين اللتين تحملان من الطيبة ما يكفى لقناعه شعب.

كان يمشي خطوات منتظمة حتى رآها تنظر إليه ...

فقشعر بدنه ..ثم تاه وسط الصفوف ..

- عمر ....ماما....عمر يا ماما!

قالت ذلك في حالة هستيرية غريبة ..

- فين ده يا بنتي.

- هناك أهو ...لابس تيشرت أسمر.

نظرت والدتها على استحياء ومعها نيفين ..فرأت شخصا قريبا من هيكل عمر ..

- لا يا حبيبتي مش هو خالص ...هو آه في نفس طوله ...بس الشكل متغير خالص.
- لا يا ماما ..مش ده ...شوفته ...كان هنا!
- فين ده بس؟
- كان هنا ...كان هنا يا ماما ..

ودخلت في حالة من الهستريا المتقطعة، فحاولت والدتها تهدئتها لدقائق، وحتى تستطيع أن تخرج هذه الخيالات من رأسها.

اقترحت عليها أن يذهبا معا إلى شئون الطلبة ..ولتبحث عن أي وجود له داخل سجلات الجامعة.

●●●

obeikandl.com

(١٥)

كاد قلبه أن يقع أسفل قدميه، فشكر السماء التي استجابة لدعواته، فكان يرغب في رؤياها بأي وسيلة ..إلا أنه كان خائفا من أن يستدل عليه ..ولا سيما أنه في آخر مرة حاول فيها أن يراها، كاد يفتضح أمره.

وهو لا يستطيع أن يضحي بهذه السنوات العجاف التي قضاها حتى ينسى ..

أقنع نفسه بالابتعاد حتى عن الجامعة الجديدة، التى كاد أن يرمي بأوراقه فيها، خوفا من الوقوع في أعباء الماضي ..فقرر أن يبدأ حياته في كلية أخرى في الجامعة المفتوحة، وبذلك يبتعد أكثر عن ضواحيها.

نام ليلته في راحة لم يعرفها منذ سنوات، نام على هامش عينيها ..وبات يحلم بهما وهما يعصرانه.

كان يعتقد أنه نسى ...وأن قلبه قد اختفى ..إلا أنه اقتنع أنها سوف تبقى بداخله حتى يُسلم رفاته ..ربما خلقها الله كجزء من جسده ..كما خلق الله حواء من ضلع آدم ..

فلا مجال للنسيان ...

وشكر ربه أنه لم يضع أوراقه في الجامعة ..فلو حدث ذلك لاكتشفت ليلى ذلك ..وهو على يقين أن ساهر قد أخبرها بخبر وفاته ..

فقد شاهد في عينيها نظرة لأم فقدت ابنها ...ثم رأته أمامها...نظرة المفقود الثمين الذى عاد إلى الحياة.

●●●

الليالي السوداء أصبحت رفيقتي ...

إذا كان فراقنا محسوما من البداية ..فلماذا تقابلنا؟

حقا ...حبنا ملعون.

بحثت في شئون الطلبة عن أي أمل يجعلها تعيش وتتنفس.. ولكنا لم تجد ..

حاولت والدتها أن تقنعها بأن ما رأته هو مجرد شخص شبيه له ..أو ربما هيأ لها عقلها ذلك ..لأنها طوال الوقت تفكر فيه.. كالحلم ...فالأشخاص الذين يزورونا في أحلامنا ..هم أشخاص وضعنا لهم مساحة داخل عقولنا لنفكر فيهم ...أو بتعبير آخر طلبنا رؤيتهم ...

إن العشق يجعلك تستسلم لدرجة لم تتوقعها يوما ...قد يجعلك لا تسير خلف القطيع ..قد يجعلك تطير أو تسبح في بحر من الرمال ....أو تنسى ماهيتك ...مبادئك ...خوفك .... من الناس والمجتمع ...أو يجعل لحياتك قيمة ...شيء ما تخاف على فقدانه ..أو ربما تخاف على حياتك أن تخسرها لأجله ..

هذا ما وهبتني إياه يا عمر ...

معقول أني أعشقك حتى أنني أحلم بك وأنا في يقظتي؟

ليتني أموت حتى أراك تسكن جسدي من جديد ...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

(١٦)

مول العرب ... الساعه ٢٠ : ٨ مساءً.

كان صوت الأطفال يلهو ويرتفع، فتذكرت طفولتها وعالمها الجميل ..عالمها الرحيم الذي كان تخالطها السعادة فيه.

لقد كانت قريبة من الوقوع في حالة الاكتئاب من جديد، لذلك قامت والدتها بالاتصال بأصدقائها سرا ..حتى يخرجونها من الكهف التي قريبا ربما تغلقهُ عليها ..ولكن هذه المرة للأبد.. وبعد إصرار كبير وضغط ..وترجٍّ ..قررت أن تذهب معهن ..

نظرت حولها فوجدت شابا وفتاة في حالة عشق ..يرتديان لباسا أبيض مُزخرفا باللون الأحمر ..وكان لباسهما موحدا ..يعطي تناغما رائعا ...كعصفورين يمسكان ببعضهما زمام السماء.

لم تكن الفتاة شديدة الجمال ..إلا أن نظرة الشاب لها.. كنظرة شخص يكتفي بها من الدنيا كلها ..كأنما لا يريد من الدنيا سواها ..وكانت تمسك ببعض الزهور الحمراء ..تمسك بهما بحزم وكأنهما تاجها ..

نظرت إليها نيفين ..فوجدتها تنظر بعمق إلى الشاب والفتاة، فابتسمت:

- حضرتك بقى مش هتشتري حاجة؟

قالتها نيفين مُداعبة لها، محاولة لكسر صمتها ...

- لا هشتري ...بصي ...أنا هتمشى أدخل المحل إللي بعد ده ...لحد ماتخلصوا ..

- طيب ما تستني نيجي معاكِ ..؟

- لا ...خلصوا براحتكوا ...وأنا مش هبعد.

- أوك يا حبيبتي ...إللي يريحك ..

خرجت ليلى وتركتهن، حتى تستعيد الهدوء والصمت الذين أصبحا كجزء من شخصيتها ..

تابعت السير قليلا، تنظر إلى وجوه الناس ..ثم إلى بعض الأزياء ..ثم الألعاب ..تحاول فقط أن تمر بوقتها إلى بر الأمان... حتى تنتهي صديقاتها، وتعود مرة أخرى إلى خلوتها ..

تمشي في الممر ..تنظر إلى الجانبين ...تسير ببطء ..

ثم جاءت عيناها عليه ....

كان ينظر في بعض الأحذية ...نظرة سرحان ...وكأنه جاء مثلها حتى يكسر وقته ..فلا هو مُشتري ..ولا مغرم.

obeikandl.com

وكان بجواره اثنان من أصدقائه، مُنهمكان في بعض الأمور ...

عادت إلى الخلف بخطوات تسمح لها برؤيته ..ولا تسمح له برؤيتها ...تذكرت كلام والدتها عن حلم اليقظة ..فجاء إلى خاطرها فكرة ...حتى تقطع شكَّها ..

أخرجت هاتفها النقال، ثم صورته ...وعادت إلى الخلف ..وفتحت شاشة الهاتف ..حتى يفاجئها القدر..

فوجدته كما هو .....

نظر خلفه فرآها أمامه ...هى بكل تفاصيلها ..لم يستطع حتى أن يتحدث ..وجدها تبكي حتى فاض نهرها ...

وقبلته ودموعها تبل شفاههما ...

بكاء خرج معه آلام الماضي ...وقتل أشباح الحزن ..ثم احتضنها ...

حضن يرى العالم من السماء ..وسط نهيج ..واحمرار الوجه...

وعاد الصمت .....

●●●

لم تتركه يعبث بخيالها من جديد ...أجبرته على الذهاب معها إلى منزلها ...بل لم تستطع النوم ...على الرغم من تأخر الوقت، والقرب من الدخول في أضواء النهار..

أخذته إلى غرفتها وأجلسته بجوارها ..ووالدتها،وجدتها ..يتعجبان كل العجب من الميت الذى عاد إلى الحياة فجأة.. والذي لم تستطع ليلى أن تبعده ..

كأنها تخاف أن تكون في حلم فيأتي النهار ..فتستيقظ على سراب ..نامت في مضجعها، وهو جالس إلى جوارها يتملى من عينيها، وهى ماسكة بيديه ..تلك اليدين اللتين مع الوقت ازدادا سخونة ..فهي لم تتركهما منذ أن وجدته بالمول.

●●●

ذهبا إلى قبره، مع باقة من الزهور ..وسط أشجان ملأت المكان ...ترحما عليه ...وتمنا لو كان بجوارهما ...

ثم أخذها إلى قبر ريما ...ليخبرها بما حدث له ...وبعودته الغريبة إلى ليلى ...وكيف كان القدر رحيما به ...ثم دعا لها ..

ثم انسحبا .....

دار العتاب بينهما ...عتاب أراحهما ...وزادهما تعلقا بالحياة..

وعاد الأمل يسكن مدنهما الجافة، وارتوت الأشجار من مياه السكينة ..

وأشرقت السماء مجددا من بعيد .....

ثم عادا بأوراقهما إلى مكان الأطلال ...وصخور الملتقى .. داخل الجامعة ... التى نبتت فيها أزهار العشق ..

واختفى المرض بلا رجعة ... واشتعلت مصابيح الضياء، لتنير الليل فتجعله ظهرا ..

وتحقق حلم ليلى ... ذلك الحلم الذي زارها قبل أن تصحبهما نسائم العشق... فنزل بها والدها من أعلى سلم القصر.. وسط تصفيق حار .. ليضعها بين يدي عمر ...

وهو في بذلته التي تزيده وسامة ...

ثم تراقصا على الأغنية نفسها التى داعبت خيالها طويلا .. ثم احتضنته ... وانخرطت في البكاء ..

بكاء أخرج كبتها ...وصافح روحها ...

وعمـر لا يسـتطيع تصديـق كل مـا يحـدث .. وهـو لا يـزال علـى يقـين بـأن ذلـك كلـه مجـرد حلـم ...

فاقترب منها مجددا ...

ثم احتضنها مرة أخرى ...

فوجدها حقيقة ملموسة بين يديه ...

تمت بحمد الله

obeikandl.com

obeikandl.com

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر

obeikandl.com